محمد عبد السلام العمري

إلحاح

قصص قصيرة



إلحاح

قصص قصيرة

محمد عبد السلام العمرى

لوحة الغلاف للفنان : محمد الطلاوى

الطبعة العربية الثالثة : يناير ١٩٩٩

رقم الإيداع : ١٣٩٩٦ / ٩٨

الترقيم الدولى :I.S.B.N. 997-291-118-3



السلسلة الأدبية

الجمع والصف الإلكتروني
مركز الحضارة العربية
تنفيذ : شريف علي

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات
تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

محمد عبد السلام العمرى



قصص قصيرة



إهداء

إلى الأم ..

إلى الأب ..

فى القرية البعيدة النائمة قرب النيل فى الوادى

منهما تعلمت الحب

فأحببت بكل صدق

فنضح قلب كالنقاء

وأحسست بامتدادى إلى أعمق أعماق الأرض

فارتويت ببكارة العطاء

وامتدت الظلال المورقة المثمرة

فازدادت الضربات متنوعة

لكن الجذور كانت قد امتدت بعيداً .

لعلكم ظننتم أن دمى قد برد

واعتـدل مزاجى فلم أثر لما قدمـتم من إساءة

فأخذتم تدوسون صبرى بأقدامكم

ولكن تأكدوا أنى منذ اللحظة سأرتد

لأصل حالى فتروننى قوياً غشوماً

لن أعود إلى التسامح معكم

«شكسبير»

فات الميعاد

صرخة مدوية أعقبتها صفعة أصمت الأذان ، ثم فتحت فتحة واسعة هائجة فى كتل بشرية تجمعت فى رأس السنة الميلادية ، الكل يئن ، والأنين متفاوت النغمات مختلف الأنواع . الشوارع كتل من البشر عكست الأضواء ظلالهم فأصبحت أرض الشوارع بقعة من ليل كالح السواد ، وجمع من الشباب الأصدقاء ، قابلهم فتحى ، زميل تحكمه تقاليد منزل عريق . سلم ولم يبق إلا الوداع ، ألبسه أحدهم «البده» يتدلى منها مستطيل من الورق تحمل وجه عفريت ورفع الثانى ياقة حلته إلى أعلى ، لفوا حوله فى دائرة قوية الجبهات ، وكانت الصرخة ، ثم مزق قناعهم المرح بصفعة على وجه أحدهم وانتفض صارخاً :

«أقذر فئة ليس لكم إلا الحذاء يا كلاب» ..

علت ضحكاتهم وتماوجت الشلة فى دلال أنثوى ، حملقت الأعين،كتمت الأنفاس ، وهيئوا أنفسهم للاستطلاع والتشفى وبعدوا وتوقعوا النتائج ..

الدائرة مرسومة حوله هندسياً ، والأقدام لها وقع بنغم منتظم كراقصى الباليه ، وبدأوا ينشدون أغنية طالما رددوها فى مكتبهم لإثارته واستفزازه ، دائماً يقاوم الاندماج والمرح والرعونة بالتأفف المطلق الذى لا حدود لمنتهاه . وعلى الرغم من أنهم يريدون اقتلاعه من عالمه بالتودد أحياناً ، والسخرية أحياناً أخرى ، إلا أنه كان محصناً ممتنعاً غارقاً فى عالم الوحدة الإيجابية . الفردية أحياناً . العامة أحياناً أخرى ، وقال لهم:

- «نحن فى شارع ولا داعى للمكيدة» .

- قال حامد متلقى الصفعة :

- أتعرف الصفع يا من ولدتك أمك مجهول المعالم .

رد أحدهم على حامد :

- وما الفرق بينه وبينك ؟

وعلا الضحك واشتد الرقص والهياج والصياح والتهليل .

رددوا أغنيتهم بقوة تشنجية ، أخذوا فى رفع أرجلهم بقسوة هائجة ، وانتفض حامد محطماً دائرتهم ويحقد لثأر الكرامة ، صرعه بضربة عنيفة فى فكه فقد على أثرها الوعى ، الأعين المحملقة ، والأنفاس المكتومة .. بدأت تتحرك ، اختلطت الأنفاس وضيقوا الخناق حول الذى يعيش فريداً فى شروده ، تضافرت جهود الشلة فى فض الفضول ، عملوا له تنفساً صناعياً ، هبطت من السماء عطور روائحها مختلفة لاسترداد الوعى . قال أحدهم لحامد :

- أنت دائماً هكذا ، أهنته وعند الرد صرعته .

لم يتكلم حامد وانزوى فى جانب ، وأخذ فتحى فى استرداد وعيه ، كتلات بشرية تحملق ، عيون بريقها فحيح يلمع بحمرة قانية ، وأحس بشئ فى فمه وجلس القرفصاء وأخذ ينظف فمه واعتدل واقفاً .

قال زميل :

- حامد أنت أدرى به .

- «من الصعب أن أعفو ومن السهل أن آخذ ثأرى الآن أمام الجميع».

- لم نعهد فيك هذا .

- كل شئ عندكم أصبح مسخرة .

قال حامد :

- آسف لم أكن أقصد .

وقال زميل آخر :

- لا تجعلنا مهزلة أمام الجميع لكل شئ مكان يناسبه .

قال ثالث :

- أين تنوى الذهاب لنوصلك .

- «لا أريد أن يوصلنى أحد»

مشى وحيداً ، واختفى فى جموع لا حصر لها ، ضربك طفل ولم تقدر على الثأر ، جبان أنت !! ها .. ها .. ها.. لست بجبان ولكن الفرصة غير مناسبة ، أعرف أننا جميعاً زملاء ولكن قد يتفقون على ، أتصبر نفسك على هذا الذى تقوله ؟ قل ما شئت ، أصبح طنينها يفوح وأصبحت حروف

الكلمة طويلة عريضة عميقة عالية لها صدى كثير ، آه عقلى ، قالها بصوت مرتفع ، نظر الناس إليه شزراً ، خرج من الضوضاء . هرب فى شوارع مظلمة تطارده أفكاره ، كراستك أهينت!! حتى أسنانك ملت فمك ! ياللك من وغد !! ألا تثأر ؟ عاد أدراجه ، جسد مرن كثعبان ، عال كنخلة، أصبحت رؤوس الناس كفوهات مظلمة لبرج حمام والزحام مُلحٌ .

أخذ ينظر فى عدة اتجاهات ، قدماه كمطرقتين يدق بهما الشارع بلا رحمة ، واتزان مؤقت مثل ذراعى مكينة آلية . جرى هنا وهناك من هذا الطوار إلى الآخر . فى الاتجاهين بسرعة ، عيون كثيرة تحيط به تصاحبها بسمات استخفاف ، جسده كتروس آلة تعمل مندفعة ، يطرق أرض الشوارع دون كلل أو وهن . كأنه إنسان خرافى آلى التركيب ، تحركه قوة خفية ، كتيار كهربائى ، البرد يلفح الوجوه ، والعرق يتصبب من جسده، يجرى فى اتجاهات مختلفة مركزاً نظره على وجوه كثيرة تلمع متشابهة ، مصبوبة فى قالب واحد .

رأته إحدى الزميلات، ولم تعط الأمر اهتماماً ، فمن رابع المستحيلات أن يكون هذا فتحى ، قطعاً لن يكون ، رجع ثانية رأته ، شبح فتحى وليس به . أين هى الآن ؟ أحقيقة هذا أم خيال ! كاد يغمى عليها . أهذا هو الإنسان الذى يقتله الخجل ، أهذا الذى لم أسمع له صوتاً منذ أتى إلينا عاملاً معنا ؟.. لا ليس هو وأخذتها حمية الفضول فنادت :

- أستاذ فتحى .

وقف فتحى كالتمثال ، إن هذا صوت يعرفه جيداً ، يا لهذا البلاء ، كادت تميد الأرض تحت قدميه ماذا ستقول ؟ لعلها تصدق ...

- ولكن من المستحيل أن يحدث هذا ، ومع من ؟ معك أنت يا أستاذ فتحي .

- «هذا ما حدث».

- لا .. لا يمكن .. ؟

- «لماذا لا تصدقي يا سلوى» .

- أتعرف اسمي أيضاً ؟

- «أتهذين كيف لا أعرفك ؟»

- هذا استخفاف بالعقول ، أنا آسفة يا أستاذ ، لست أنت من أريد. تركته مسرعة ، واقفاً في مكان لم يتحرك ، مشدوها ، والعرق يتصبب من جميع جسده ، ظلال أضواء جميع الشوارع مختلفة ومركزة عليه هو. وعيناه تغشاهما دموع متجمدة تنظر في جميع الاتجاهات إلى غير شئ .

أتتجمع المصائب في ليلة فقدت المسئولية فيها وزنها وأصبحت كثقل أخترق الجاذبية

يا أستاذ لست أنت من أريد ، أنفاسه متقطعة ، الهواء قليل جاف .. مسموم ، يختنق ، فك رباط رقبته ، فتح القميص ، يستنشق الهواء بقوة راغبة ، وينظر إلى الوجوه ، كلها سلوى ، ويحكم الاختناق أنيابه ، ثم يجري ويجري ، وتدق ساقاه كمطارق ، شعره مهدل ، ملابسه في فوضى شاملة ، لم تفهم ، قدّري يا سلوى أرجوك ، وتدق ساقاه ويجري بقوة وعنف ، أصابع وأعين وأرجل وأجساد ورؤوس وأفواه وأسنان كلها تشير إليه بوصمة الجنون ، ويجري ثم يجري ، رؤوس كل هذه الجموع هي رأس سلوى ، كلمة واحدة يا سلوى أين أنتِ الآن ؟

ألا تصدقيني ؟ إني فتحي ، سأبقى هكذا دائماً كما عرفتني .. !!
سيكون الانتقام رهيباً يا حامد ، اعتبري أنك لم تقابليني ؟ جاء جميع الزميلات والزملاء يستطلعون الخبر ، الدهشة مسحت الشوارب والروج وأصبحت الوجوه صورة ممسوخة لنسخة باهتة .

وبدأ فتحي يقصي عنه المارد ، فرجع إلى الخلف فتقدم عليه وقبضة فتحي أطبقت على لا شئ ، وهوى بها على رأسه الذي ضحك بسخرية منه، أين أنت الآن يا حامد أين ؟ عينا فتحي يشع منهما جنون حقيقي ويكور قبضته ، كل يسألها فيكون الرد مفاجأة مذهلة ، تجمع الزملاء والزميلات فى مكتبها .. العيون تتطلع والأنفاس مختلطة وبلع الريق جميع الأصوات كأنهم فى محراب، قالت سانقل إليكم خبراً مؤلماً. كادت القلوب تقفز عندما استطردت: والخبر بخصوص الاستاذ فتحي .. إجر يا فتحي .. إجر .. أطرق الأرض ، انظر إلى الوجوه .. ويزداد نشاطه ، ويبحث فى الوجوه .. ويأتى صوت المدير من آخر المكتب عالياً سريعاً متلهفاً :

- ماذا حدث لفتحي ؟

تلكأت فى النطق فكادت الأيدى تخنقها ولهفة المدير سيطرت على شخصيته :

- تكلمى بسرعة

- تصوروا ..

- ماذا ؟

- تصوروا هذا يحدث لفتحي

وجاءت ألوف «ماذا» وكل ماذا تريد الاقتناع .

- لم نسمع له صوتاً منذ عُين .

قال آخر :

- له احترامه منذ جاء .

هل صحيح ما أنت فيه الآن ، أم أنك تحلم ؟ يا حامد أنى دائم الاحترام لك ، دائم الاحترام للجميع ، وتزداد سرعة فتحى ، وتزداد رغبته فى الثأر،.. الجموع بدأت تقل وتتكمش ولا يدرى ، يجمع قبضته ويخبط بها الحوائط ، نظرات ساخرة من بقايا جموع كانت محتشدة ، أحس بهبوط شديد ، جسده منهوك ، مفكك ، مضعضع ، وساقاه أصيبتا بتفكك تام ، وأصبحتا كبندول ساعة فقد مداره .

احس برغبة عارمة فى التدخين واشعل سيجارة ومشى ببطء منكس الرأس ، أغمض عينيه ، البرد لفحات شديدة ، والشوارع ساكنة هادئة إلا من بعض عربات يد عليها ضوء خافت فرحة بأصحابها ، ماذا سيقولون هناك؟ خبط جبهته ، حار عقله ، أخبروه ماذا يفعل ؟ . فجأة سمع صوتاً أنثوياً حالماً فى دلال مثير :

- السماء تبارك النشوة .

ينظر إلى صاحبة الصوت فتسبل أهدابها ، وهى فى ثوب ينبئ عن معدنها ، وتنظر له نظرة مبتذلة تخرج لسانها لتلعق به شفتيها :

- ليلة ممتعة بثمن بخس .

مصابيح الشوارع أضواؤها تخترق ضباباً كثيفاً ، نزلا بعيداً عن منزله ، نظر من مكانه فوجد أشباحاً لثلاثة أشخاص ، قال لها :

- «انتظرى قليلاً» .

- لا تتركنى وحدى .

- «لأرى هؤلاء»

- سأمشى فى أول فرصة .

فى مدخل المنزل وقف ثلاثة من الشباب وجوههم لسعها البرد ، وشعرهم محمل بنتف ثلجية ، وفى مدخل الباب سمع صوتاً يعرفه جيداً:

- لا مكان لك فى القاهرة غير منزلك ، أين كنت للآن ؟

أنت أيضاً ، جاءتنى فرصة لأنسى فى ساعة واحدة ما حدث منك ، وفى أول الليل كان ما كان ، وبحث عنك كثيراً للقصاص ، ووجدتك تنتظر فى عقر دارى ..

ماذا أفعل ؟ فكر بسرعة :

- «ماذا أتى بك إلى هنا ؟» .

قال زميل :

- أما زلت متأثراً يا فتحى ؟ عهدنا بك الكرم والشهامة .

ورد الثانى :

- أتينا به للاعتذار رسمياً ولم نجدك ، إذن فلا مندوحة من انتظارك ، لا أحد سوى أربعة زملاء وأربعة قوائم لحوائط راسخة وفتاة تبحث عن الحياة:

- «هذا ليس وقت الاعتذار» .

- ألا تقبل اعتذارنا ؟

قالها حامد بصوت مرتعش ، قال زميل :

- لا داعى ، نحن أتينا منزلك ، وانتظرنا للآن ؟ فـات الوقت ولا محالة من العفو .

- «لم أتوقع منك ذلك» .

- خرجت عن طوعى وأتيت للاعتذار .

قال آخر

- أين كنت الآن ؟

- «مشيت فى دروب لا عهد لى» .

- وكانت النتيجة ..

- «انقطاع رسمى عن العمل غداً» .

- يجب أن تنام .

- «اتفضلوا»

- فات الميعاد .

صافحهم مودعاً ، بعد أن مشوا بعيداً عن المنزل لم يجد المتعة ، فى الصباح انقطعت سلوى أيضاً عن العمل ولم يعرفوا السبب .

صباح الخير ٢ / ١١ / ١٩٦٧

وليمة

فى ليل ظلامه دامس قالت له نتزوج يـا محمد ، من شفتيه المسترخيتين قال :

- أنى مريض .

قال لابنه :

- مريض أنت يا ولدى .

- نعم يا أبى أنى مريض .

نفث دخـان السيجـارة ، مشى فى بطء ، تسلـلت إليه تهـديدات رجال كثيرون تحمل عضلاتهم فحولة قرون العصر الحجرى .

- شفاك اللّه يا ولدى

هكذا تمتم سليمان .

انتـابته رعـشة قـشعـريرية ، برودة مـعدنيـة تحتـوى أوصاله فـينكمش ،

انكمـاشـة لذيذة تلملم عظـامه ، تـضغط لحـمـه ، تربط أوصـاله ، فـيـزداد انكماشـه ، صيف يونيـو حار حرارة قـاسيـة ، الهواء ذهب ، بيـوت القرية الطينيـة من بعيـد بيضـاء ، شمس تسـقط غضـبهـا مركزاً عـلى محتـويات الأرض ، حقل القطن تسرى فيه ذبوله معدلها منتظم يزداد يوماً بعد يوم فى طريق الذبول الشـامل ، أوراق شجر القطن صـفراء يقاوم فـيهـا لون قريب إلى الاخضرار فى حالة يائسة ، حاول رفع الفأس ثانية فانتابته نفس الرعشة اللذيذة .

يحتـضن الأرض ، قطع من حصى الأرض الدافئ يرصها علـى جسده، يحتـضنهـا فى حب نهم ، يستـحم بهـا ، يقطع من جـسـده ، يضع مكان المقطوع قطعاً من الأرض الـدافئة ، ينظر إلى الشـمس ، يستعطفـها أن تزيد دفئهـا ، أن تنتشله إلى جوارها ، أن تحتـضنه ، أن تغسله ، أن ينغرس فـيها ، الفـأس ملـتـاعـة فى يده ، سنهـا عـلى سطح خط القطن المـعزوق ، ترقـد مـستكينة ، غـبراء يـدها ، صدئ كـفهـا ، بارد مقـطعهـا ، يتمـدد فى الخط المعزوق ، يفرد ذراعيه عموديتين على جسده ، مائل رأسه ، كفاه مسترخيتان يتسـاقط منهمـا عرق بارد ، كفـا قدمـيه يتعـانقان فى ود ، كـأنه مصلوب ، صلبته الشمس على الأرض .

محـمد يمـشى ، القرية حـصن من الحصـون القديمة ، طوبهـا حصـرم ، حـولها القـلاع ، سـورها عال ، حـجره بنّي مـحـروق ، عال ، عـال ، ليس للسور باب ، هناك حبال كثيرة من أراد دخول القرية عليه أن يتسلق الحبال، أو يتسلق برج قلعـة ، ثم يمشى على مشـاية تصل السور بها . خـارج القرية كان نسيم الهواء لطيـفاً ، رقيقاً ، عليلاً ، المزارع من حـوله خضراء ، حصى

الأرض ناعم مكبوب عليه لون برتقال الشمس ، كان الجو هادئاً ، مساحات واسعة كثيرة من الأرض تحيط بالقرية ، برتقال الشمس منعش ، مشى محمد على شط الترعة وحده ، لم يكن هناك شئ قط ، لا دابة ، لا شجرة ، لا عصفورة ، لا إنسان ، ماء الترعة صاف ، متماوج برقة ، شط الترعة حد فاصل بين الزراعة والماء ، يمشى هادئاً ، حزيناً ، جلبابه ساكن أبيض ، شط الترعة يرتفع ، أصبح فى مستوى قمة سور القرية العالى البعيد، نظر لشط الترعة وجده يضيق ، شط الترعة مضغوط ، الزراعة تطغى على الشط والماء يطغى على الشط ، يتآكل ، أصبح رفيعاً ، أطل محمد على الترعة وجد مياهها بعيدة ، الشط عال ، انحسرت المياه عن جزء من الشط فبان أسفله طريق آخر مواز يمشى فيه جنود كثيرون بانتظام مثالى ، ملابسهم متناسقة ، نظيفة ، يحملون بنادق وسيوفاً مصوبة كلها ناحية محمد ، لا يقدر على الحراك ، لو هدم عليهم شط الترعة لماتوا ، لكنه متجمد ، مصعوق ، مختنق، كابوس أخطبوطى يلف أذرعه حوله ، يتقدمون عليه ، لا مفر إذن من هدم الشط ، فى ثقة تامة يتقدمون نحوه ، بالضبط أصبحوا تحته ، فى مجموعات منتظمة وبدقة أكثر بدأوا يتسلقون شط الترعة إليه ، صرخ صرخة مخنوقة باهتة ، انحبست فى فمه ، ارتجت فى حلقه ، نفخت أمعاءه ، حاول النزول، بدأ يزيح قطعة كبيرة من الطين ، وضع سليمان يده برفق عليه فجأة ، شهق، شقهة واحدة ، تجمد لسانه ، مازال فمه مفتوحاً محافظاً على قطر معين ، عرق بارد يطوق جبهته ويديه ، يجلس فى استسلام قدرى ، مذهول ، عيناه تغشاهما دموع متجمدة ، عيناه زائغتان ، قال سليمان :

– مالك يا ولدى ؟

محمد لم ينطق ، رأى الجنود يلتفون حوله فى انتظام شديد ، نفس البنادق والسيوف كلها مازالت مصوبة إليه ، يتقدمون إليه ، يشهق ، يختنق، رفع يديه ، يتقدمون إليه ، نظر حوله ، أين أنت يا أبى ؟ اختفى سليمان ، لماذا ذهبت يا أبى ولِم ؟

استقبلته القرية فاغرة فاها ، سبخ أرض المُليحة ساخن ، لاسع ، نار، يترك قدميه لتتطهرا ، يتركهما فى تمن صاخب ، أزقة القرية ذبابها كثير ، بعوضها كثير ، مخلفاتها كثيرة ، مستنقعاتها كثيرة ، أسطحها المتماوجة الميل كثيرة ، فوضويتها كثيرة ، بجوار نخلة وقف ، التحم جسده بها ، أمال على كتفه رأسه .

من بعيد ترك الأب الجلسة وانتتر واقفاً ، وجهه ، عيناه ، يداه ، هو ، نسوا جميعاً ما كانوا فيه ، ترك الخف عن وعى أو دون وعى ، من بعيد أيضاً أفضى إلى الخلاء بزعقة صوت متحشرج :

- جاى لك يا ولد .

فى جنبات القرية ترددت أصداء طرف صرخته يا ولد .. د .. د .. بجوار الجامع دائم الجلوس ، سليمان مُسن ، حجر صلد من أحجار جامع الزاوية بالقرية ، جلباية الدبلان زاه ، مزهر ، ثغره مفتر عن إبتسامة باهتة ليس لها معنى ، أحال نفسه إلى المعاش ، أحب الراحة ، أحب المنظرة ، إلاكة سير الناس ، كل هذا جائز ، جلوسه بجوار الجامع دائم ، نبقة جامع الزاوية دائمة الإخضرار ، دائمة النسيم الرقيق ، يحلو لعب السيجة ، الضحك . النكات ثم الصلاة . السهر ، النوم فى بعض الأحيان ، ليس وحده ، هناك مثله كثيرون ، مكان مأوى لهم ، أرضهم ، منزلهم ،

زوجـاتهم ، هو بالضبط بئر مـاء فى صـحـراء متـرامية ، ترددت أصـداء صرخته يا ولد .. د .. د .. بعد مدة جاء مقاول الأنفار ، نظر سليمان لمحمد وجهه أصفر ، قال :

- قادم معك فوراً .

بسمل ، خبط أول خبطة ، الأرض سوداء قطنها ذابل ، يعزقون هم ، لم تأكل فـأسه فى الأرض ، هاد أنت يا رب ، خـبطة أخرى خبـطها ، الأرض صلدة ، زمـلاؤه سبـقوه بمسافات ، التـجاعـيد تملأ رأسـه وشعـره أبيض ، زفرات المقاول كثيرة ، فحيحهُ أزاد حرارة الشمس لسعاً . قال سليمان :

- يوماً آخر سيعوض لك .

فى ليل ظلامه دامس قالت له تتزوج يـا محمد ، من شفتيه المسـترخيتين قـال : إنى مريض ، فى عـالم لزج عنكبـوتى الظلمة كـانا ، عالم مـجهـول المعالم ، الأحداث تفاعلت ، الأقوال تـضاربت ، الأوداج انتفخت ، الوجوه احـمـرت ، نكست رؤوس ، هامات ، لكن الجمـيع اتفقوا على رأى سيفى بتار ، فى حارة سد زنقوا أم باهيه :

- ضعى حداً لهذه المهزلة يا إمرأة .

- عين وأصابتنا يا رجال .

- كفانا مسخرة ، لابد أن تفهم ذلك .

- باهيه جنت يا رجال .

رمادي غـروب القرية ، على باب مـنزل هو عشة تـقف باهيه ، ينحـسر منديل شعـرها عن خصلات من ليل سـواده حالك ، أرضيـة الزقاق ترتفع

متراً عن فتحه باب العشة . الباب مقفول . من بعيد ظهرت الأم تشردح. عندما رأتها جذبت القصعة من فوق الأرض ، مفتاح الباب في يدها ، ملابسها كغروب القرية . خلف أم باهيه رجال كثيرون :

- القتل حلال فى عظمك .

- خائنة أنت يا أم .

- سيرتك يا باهيه ممرمطة فى الأفواه .

- ليكن .

- سنقتلك .

- اقتلونى ادبحونى اصلبونى ، كلكم حجر .

- حلال عليها القتل

قالها رجل ثم أشعل لفافة واستدار .

- أين أنت يا أبى ، لو كنت على قيد الحياة ؟

من بعيد سمعت صوت رجل :

- ذنبها على جنبها .

نظرت لأمها :

- لست أمى أنت ، خلاص ، أنا باهيه : فاهمه . غصب عنك تلطمى ، تحملى طين ، تتزهرى ، انتهى كل شئ .

شمس عذبة ، خفيفة ، برتقالى فى يوم ربيعى ، طاير الندى يحضن لوجوه ، والعصافير نعشتها حلوة ، يحمل محمد جاروفاً من حديد لين ،

باهيه بجواره تحمل قصعه فارغة من حديد لين ، بكر الطريق ، أقدامهما تلمس خد الأرض :

- باهيه ، اعقلى يا باهيه

- حبنا يا محمد ، ابننا .

- الناس يا باهيه .

- الناس تموت حبنا . ابننا .

- أنا مريض يا باهيه .

- تقدرى تستغنى عن نفسك ، تقدرى تستغنى عن ربنا .

- الناس .

- ألم تعرف الناس بعد ؟!!

اعتصر سليمان همومه ، أيام ، اغبر أنت يا زمن ، يا أم محمد يرحمك الله ، إزداد المرض عليه ، انتابه سعال كثير ، متقطع ، تدمع عيناه . يهبش بيديه محتويات الحجرة .

بمؤخرة رأسه خبط على الحائط خبطات رتيبة منتظمة ، الله يرحمك يابا، صحة الفلاح رأس ماله صحيح ، أكثر الله خيرك يا ولدى ، هل يكون هناك عزيق فى الحقل والبيت وتبقى الصحة ؟

أحس بنظرات الناس تحتقره ، ألسنتهم تلوك سيرته . مضغة فى أفواههم، حاول بكل قواه أن ينتزع الحقيقة ، رفضوا ، هدد ، ضحكوا ، بكى ، سخروا ، قالوا له أن أباك تزوج زوجتك ، انهار ، قال ليتنى لم ألح .

قالت باهيه :

- إنى حامل يا محمد .

- هل تزوجت أبى ؟

- أجننت يا محمد ؟ ما هذا التخريف ؟

فى سريرته لعن الناس .

جزار جاهل أنت يا دكتور

فى صبيحة أحد الأيام بصق محمد دماً .

فى أحد الأيام مات محمد .

باهيه قاربت على الوضع .

القرية نست محمد ، سيرة سليمان المعتوه تمضغها القرية .

سليمان تزوج إمرأة ابنه ، مازالت حاملاً .

فى دقة متناهية ، فى انتظام شامل ، فى خطوات ثابتة مشى الجنود من فوق الترعة ، بنادقهم وسيوفهم منكسة إلى أسفل يتناوبون الضحكات .

يونيو ٦٨

لماذا لا يكون أنا ؟!

مسئولة ، لها رأيها ، صريحة ، ليست منافقة ، اتخبط أنا ، أمشى مريضاً، وجهى أصفر مكرمش ، عمرى عشرون عاماً . كانت الصديقات يتغزلن فى رشاقتى ، امشى كثيراً ، أتجرع مياها كثيرة ، كرشى تحملنى ، حذائى مترب غير مربوط ، طبقات كثيرة من التراب تملأ الشارع وتملأ حذائى ، عندما جاءت شممت رائحتها ، كانت لها رائحة افرازات أنثوية جاذبة ، لف النحل حولها كثيراً ، لا أدرى بالضبط هل امتص شيئاً منها أم لم يمتص ، ولكن كانت هناك أدلة قاطعة بأن الرؤوس تذوقوا الرحيق .

مسئولة هى وأنا موهوب ، أحمل هموم الستينات على بطنى قلت فلنجرب ، فى الطريق إليها مشيت على قدمى ، أحاسيس كثيرة تنتابنى، نظرت إلى حذائى ازدادت سمك طبقات ترابه ، رباطه قطع ، للوصول إليها من عندى يوجد طريقان ، طريق تُظله الأشجار بجوار النيل ، وطريق آخر مملوء بالطوب وقاذورات مختلفة ، فضلت أن أمشى فى الطريق الأخير، الأولاد يلعبون الكرة ، البيوت قديمة مهدمة لا ترتفع أكثر من طابق واحد .

كانت الشـمس ترسل ناراً لافحة ، خانقـة ، رأيت طوبة كبيرة فـتأخرت ونظرت إلى الأولاد ثم لحـذائى ثم شُطّهـا ، وقفت انظر إلـيهـا ، تتدحـرج بسرعة ، وقـفت قليلاً على حافة حـفرة مياه ، ثم غطست ، جـريت بسرعة إليهـا ، وجدت الميـاه فى حالة ركود تام ، أكـثر من رجل يقى رأسـه بورقة جريدة من حر الشمس ، شعر رأسى قصير ولا أهتم .

لحيتى نابتة وشاربى أيضـاً ، أحمـل مجلة ، وصلت إلى شـارع طويل عريض مزدحم حديث ، مملوء بالذباب ومياه المجارى فيه يقع مـقر عملها، وجوه الناس كـشريط فيلم معـروض على شاشة صوره سـريعة اللقطات ، كانت الوجوه تترك حفيفاً وهواء من سرعة مرورها ، انظر إلى الناس لحاها نابتة ، وجوههم جهمة ، رؤوسـهم منكسة ، ببطء حملت ذراعى وتحسست شاربى ، على باب مـقر عملها وقـفت ، سلم واسع رخامى عريق ، أعـمدة رخامية قديمة تتوسط المدخل ، قلت لها أنا موهوب ، قالت هذا ظاهر جداً، لماذا وجهك منتفخ ، وحول عينيك هذا السـواد ؟ قلت لها: أنى دائماً هكذا، قالت هذا دليل الموهبـة ، يعجبنى أسلوبك فى الكتـابة ، وأعتقد أنه مـدرسة جديدة وأتنبأ لك بمسـتقبل باهر ، منذ مدة جاءنى شاب صـغير يعرض على مـواهبه نصحتـه بالاعـتكاف ، أما أنت فـموهبـتك تنضح من كل خـلايا جسـدك ، نظرت إلى كرشى ونظرت إلى كـوب الشاى ونظرت إليـها. من تحت نظاراتها كان يشع من عـينيها بريق ذكاءخارق ، قلت لهـا أنى معجب بكتاباتك ، قالت فى الصباح وأنا خارجة أعددت الغذاء لزوجى ، قلت لها أن مكتبك أنيق ، قالت : بعـدها لبست فستاناً أحمـر رغم أنى أكره ما يمت إلى الإحمـرار ، وركبت أتوبيـساً ليـوصلنى إلى العـمل ، وعندما اقـتربت

نزلت بعيداً ، كنت أنظر متلصصة خوفاً من أن يرانى أحد ، لن أنسى مشهداً رأيته فى أحد الأتوبيسات ، كان الزحام يكتم الأنفاس ، الأجساد راكبة فوق بعضها ، الجالسون لا يظهرون ، بين كل ركبتى جالس يقف اثنان أو ثلاثة ، آخرون معلقون فى سقف الأتوبيس وفى الشبابيك ، الكمسارى يقف بالخارج يقطع التذاكر، سمعت صرخة مكتومة قوية ، خرجت من فم لا أعرف هل هو لإمرأة أم لرجل ، كانت أشبه بصوت كسر عظام ، مزقت كل حاسة من حواسى ، تعالى لغط عن البحث عن ورقة جريدة ، هناك إمرأة وضعت ، كانت الوجوه تنظر ناحيتى ، المرأة بالقرب منى ولم أرها ، حاولت مشاهدتها ، المولود قطعة لحم حمراء والمرأة فى غيبوبة تامة ، قلت لها ماذا تكتبين الآن ؟

قالت أن كلام هذا الشاعر صحيح وأننا مازلنا كما يقول ، تقصدين زمرة من الجهلة والأميين ، تمتمت .

قالت كنت فى شبرد أجلس مع شاعر من إياهم ، وكان ساخطاً على شاعرى المناضل ، قريتى والبيوت القديمة المهدمة والفقر الذى يرتع على أجساد الناس متجسداً فى هلاهيل يلبسونها ، وبراغيث تدلغ وقمل يأكل وجوع ينهش ، كررت سؤالى ماذا تكتبين ؟ قالت كتبت من مدة والرقابة تطاردنى ، فى بعض الأحيان تكونين لاذعة ، قالت هذا من مصلحة البلد، من الجائز تقصدين شيئاً آخر ، قالت أنك تكرر قول الحاسدين ، أخرجت لها مظروفاً من المجلة ، كان مملوءاً أوراقاً عنها ، كل ما كتبته هى أو كل ما كتب عنها ، أحمله فى هذا المظروف .

قلت لها أن كتابتك تعجبنى وأنك متحررة ، نظرت إلى الأوراق فرحت

فرحاً كثيراً ، ضحكت وسعدت ، انتابتها نشوة غريبة ثم أطرقت وقالت هذه ذكريات عزيزة على . أرادت أن تأخذ من الأوراق بعضها ، فرفضت ، ازدادت سعادتها ، أتمنى أن تطلب منى شيئاً آخر ، ولكنى أعرف أن رفضى لطلبهاهذا يسعدها ، وقلت لها أنا لا أحسدك ، إنى فقط معجب بك ، فستانك هذا أنيق ، ونظارتك لائقة ، وحلاق شعرك يبدو جيداً أن ذوقه فريد ، قالت أنا التى أصفف شعرى . قلت أنه يضفى عليك هالة من الجمال فارتخت أهدابها ، قلت لها لماذا لا تكتبين ناقدة ؟ قالت هل تعتقد أنك فى أمر .. وقبل أن تكمل كلمتها سحبتها سريعاً وقالت هل تعتقد أنك فى باريس ؟ لماذا لا تكمل جملتها ؟ عندما جلست قلت لها أنى عضو فى تنظيم شبابى ، لم أناقشها فيما تقول ، قلت ماذا عن مواهبى ؟ قالت : إنك ممتاز ، ناشدتها المساعدة فقالت هذا شرف لى ، قلت لها هل لك ملاحظات؟ قالت عليك أن تقرأ كتباً أجنبية ، قلت : لا أعرف سوى الإنجليزية ، قالت هى المطلوب ، بعد ذلك قالت أنك تتطور ، ثم قالت لى ذات مرة وكانت تأكل سندوتشاً هل لك فى آخر ؟ قلت أن واجباًعليهم أن يضعوك فى مكانك المناسب ، أنت تقدرين على القيادة وتقدرين على الحسم ، ضحكت وقالت هل لك فى آخر ؟

قلت لها أن هذه ليست عادتى ، إنى فقط أتكلم كل ما يجول بخاطرى، أحياناً أفكر فيك كثيراً ، فأنتِ دائمة الطرق على باب عقلى ، أنت تخترقين كل خلوة لى وكل مشغولياتى ، قلت لها أنك فهمتنى على غير حقيقتى ، فأنا لا أقبل ذلك ولا أقبل أن أكون كذلك ، قالت ماذا تريد إذن ؟ قلت فقط أنى أفضفض عما فى نفسى ، يُهيأ لى أنى أعرفك منذ زمن بعيد ، منذ

كنت فى رحلتك الكبيرة البعيدة المديدة ، احتفظت بكل ما كتبته الشهرة عنك ومنك ، قالت هل تشرب الشاى ؟ ثم ارتسمت على وجهها ابتسامة سعيدة طفولية ، بريئة ، عيناها الخضروان ووجهها المسمسم النحاسى احتضنانى ، شعرها أصفر عمت فى استرسال حنانه ، ليست أما بعد ولكنها متزوجة ، قالت هل لك فى شئ تقرأه ؟ قلت لها أن لك وجها جميلاً وشعراً أجمل ، ونظرت إلى فتحة صدر فستانها ، كان نهداها مضغوطين ، يبرز جزء من حنانهما خارج الفستان ، لا شعورياً وقعت ورقة من يدى على الأرض فطأطأت راسى لأحضرها ، لا شعورياً أيضاً نظرت إلى ساقيها ، ضغط الدم على عروقى واحمر وجهى وأصبت بالبله ، رفعت رأسى إليها قالت وابتسامة على شفتيها : هل تعرف بزوجى ؟

روز اليوسف ١٧ فبراير ١٩٦٨

لاينتظر

حنو شمسى المغيب يلتف حوله كل من فقد قيمة التقصى والتفكير ، وأهل قريته يسجدون لساعة المغيب ويقدسونها . على طريق بجوار ترعة مملوء بالحصى والمقاطع والطين كانت المواشى ذاهبة لتجتر يوم عمل كامل ، سبقته أيام وستلحقه أيام وسنون .

ولدغة الباعوضة لها وزن ، تأتى وتذهب ، وبين المجئ والذهاب تمتص من جسد كسول لا يقدر حتى على هشها ، وحلقات الباعوض تزن وتعمل أصواتاً موسيقية منفرة فى قاعدة دائرية فوق الرؤوس ، وترتفع القاعدة كالأسطوانة ، متناسقة تماماً .. الزن مختلف فى نشاط آلى منتظم.

حمير تحمل غلالاً وتبنا تمشى فى خمول تام ، كل حين وعندما ترى عوداً أخضر أو جافاً تقف ببطء لتلتهمه والراكب أو الماشى لا يأبه .

هدوء الجو يحتضن القرية ، سكون مخيف يفرض سلطانه عليها ، وغبشة رمادية من الأفق البعيد تتسلل بهدوء واثق ، كلاب نباحها لم

يسمع، وترعة عدمت مياهها ، ونقيق الضفادع لم يؤنس وحشة القرية منذ التحاريق ، سمات حزينة عاتبة ومستسلمة لوجوه الفلاحين المتجعدة التى تحوى فى ثناياها تراب الأرض وقذارتها وقيودها .

وكان عبد المجيد يربى السلحفاة ، ولم تزل للآن معه فى مخلاته ، والمؤرخ لحياتها سيجد مادة جيدة لاستغلالها ، وعبد المجيد منذ كان صغيراً يحبها .

يأخذها من مكان أعده لها بعد ان يلح عليه أبوه وعائلته وأولاد الحارة بأنهم يريدون مشاهدة السلحفاة ، يطلقها بينهم فى الحجرة ، الجمع محتشد والأنفاس مكتومة ، والعيون مبهورة ، وبالرغم من أنهم يرونها كل يوم تقريباً إلا أن الزحام الشديد حولها فى ازدياد .

ويكبر عبد المجيد محافظاً على سلحفاته عاملاً بنصائح الجيران والأهل والبلدة ، ومنذ ذلك الحين والسلحفاة تكبر مع عبد المجيد فى بطء، كبرها كسيرها ، لما طلبوه فى الجيش ليقضى ثلاثة أعوام أخذها معه، وضعها فى مخلاته ولما علم القائد طلب مشاهدتها ، نصحه بالمحافظة عليها لأن السلاحف انقرضت الآن أو كادت ، وعمل بنصائحهم ومازالت السلحفاة موجودة .

عندما نظر إلى الحمار ، غامت الدنيا فى عينيه واستعاذ بالله ، فهو يعرفه حق المعرفة ، صاحب سوابق كثيرة ، انتفض كالمحموم عندما تذكر بلادته وحرونه وغباءه .

قال لعبد المجيد لن أسافر فى ليلتى مادام هذا الحمار موجوداً ، فجاءه

صوته بهـدوء قاتل وثقـة تامة بأنه حمـار ممتاز ، ثم أمـره بأن يركب حتى لا يفوته القطار ، ثم أردف وسترى ...

عندمـا هم بالسفـر إلى البلدة قـالت له والدته المريضـة التى نزحت من القـرية عينهـا إلى المدينة ، قـالت : لا تنس أن وراءك أعمـالاً ، لا تغب ، لا تصدق كلامهم ، ولا تأبه حتى بهم ، وإذا لزم الأمر كن حازماً ، قالتها وهى تشدد قبضتها الصفراء ذات العروق الزرقاء التى على العظم مباشرة .

- حماركم هذا بليد .

هكذا قال لعبد المجيد ابن عمه

- لا تتسرع فى الأحكام .

- لماذا لا تركب معى ؟

فى الصيـف يأتى القطار من الاسكندرية إلى إيتـاى البارود بعـد حوالى ساعة من غروب الشمس ، ولما كانت القرية تبعد خمسة كيلو مترات ، كان عليه أن يقطعها إما على قدميه أو عـلى ظهر الحمار كما يفعل أهل القرية ، ومن ناحية العـربات الأجرة يرفض اصحابها تمامـاً الذهاب إلى تلك القرية المسـماة إمليط حتى ولو أجـزلت لهم العطاء ، لأنهم ليسـوا فى غنى عن عرباتهم ، فالطريق رغم أنه جديد إلا أنه ترابى غـير مسفلت ، وكله مطبات ومقاطع وحصى ، ونحن لسنا بحاجة إلى القرف .

كيف عـرفت يا بن عمى أن القطار يأتى إلى ايتـاى البارود بعـد حوالى ساعة من غروب الشمس ، فلا يجد عبد المجيد بدا من قوله وهل هذه تحتاج إلى تفسـير ، فهـذا معروف منذ زمن طـويل ، صحوت وكل قـريتى تعرف ذلك .

- وهل هذا البليد سيقطع المسافة فى حوالى الساعة ؟

على كفل الحمار من الخلف يخبط عبد المجيد الحمار بيطن كف يده ، فينط نطة تتبعها عدة خطوات سريعة وسرعان ما يرجع إلى مشيته الرتيبة البطيئة المعتادة .

- ولماذا لا تركب معى ؟

قالها وهو يخبط ساقاه فى جنبى الحمار حاثاً إياه على السرعة ، ويهتز الحمار ، وكالخيل فى دلها جرى ، فترتج محتويات بطنه ، ويصبح كالكرة على بردعة الحمار ، ويقول عبد المجيد وهو يجرى أنه لن يركب ، فيرد عليه بأن المشوار طويل ، فيقول لا تخف على .

يخلع عبد المجيد جلبابه المغسول الذى بلون السماء الصافية فى ليلة صيفية ثم كوره وقذفه أمامه على الحمار .

ويبوز حذائه الثقيل ومن الخلف رفس الحمار ، فتغيرت مشيته إلى السرعة ، فصمم على أن المشوار طويل فزادت ضحكته . شخط فى الحمار فزادت سرعته ، وقال ما الذى يضحكك فقال أنت فابتلع الإهانة.

قال عبد المجيد فى نفسه أنى سآتى من إيتارى البارود إلى البلدة راكباً ، فسمعه يتحدث فلم يكلمه ، يسود الهدوء ، ووقع حوافر الحمار المنتظمة لا تؤنس الوحدة ، فالليل بدأ يكبس ، والطريق طويل ، وقطاع الطرق أضحوا كالنمل ، ويزدادون بصورة مذهلة ، ويقول له كم ساعة أخذت أجازة يا عبد المجيد .

فيقول له لا تقل كم ساعة بل قل كم يوماً . فينظر له فى الظلام ببلاهة ،

فيقول أنها خمسة أيام ، فيلحقه بسؤال آخر وهل بقى إلى القطار كثيراً ، فيرد عبد المجيد بالإيجاب ، فيقول : إن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة ، ويتذكر أن المثل صينى وأنهم قطعوا آلاف المشاوير .

ومع الجرى تهتز التميمة التى على شكل سلحفاة فى رقبة عبد المجيد، عند المغيب كانت الشمس حزينة ، والقرية حزينة وبدأ اللون الرمادى البارد يحتل مكانه ، ونسمات قليلة كل مدة تهف هفة ، نسمات مختنقة لشهر يونيو وأوائل يوليو ، ومنذ عدة أيام كنا نحتفل بعيد الجلاء..

وفى البلدة قال لهم أنكم تعرفون أمى ، إنها دائمة القلق عليه ، عندما يغيب عنها ولو نصف ساعة عن ميعاده ولو حتى لظروف المواصلات تقيم الدنيا وتقعدها ، وقال لهم أن والدته فى انتظاره ، فتشبثوا ببقائه ، إن ورائى أعمالاً أيضاً ولابد من تشطيبها فيزدادوا تشبثاً به ، رفض بابتسامة فظنوا ذلك خجلاً منه ، حتى لا يكلفهم كما يعتقدون ثمن مبيته وعشائه ، حتى لا يكلفهم مالاً يطيقون .

يرسل المالك الغفير لتحصيل الإيجارات فلا يجد من المحاصيل شيئاً، خلاف أنهم سيعيشون بقية الأيام إلى أن يأتى محصول آخر .

لذلك تشبثوا ببقائه ، ود لو بقى ، لكن أمه ، العمل ، قال لهم لابد أن أسافر ، عندما ودع أعمامه وأخواله بعد جهد ، لم يصدقوا ، قالوا انتظر بعض الشئ فلم يحن الوقت بعد ، فقال لهم إن القطار سريع ، فقالوا إنه لا يأتى إلا بعد مغيب الشمس ، ومازالت عالية فى الأفق ، فصمم على أنه لابد أن يسافر الآن فقالوا سنحضر لك حماراً .

فى الوحدة وأثناء أحد الطوابير قام القائد بحملة تفتيش مفاجئة ، فوجد أظافرى مقصوصة ، وشعرى مغسولاً نظيفاً ممشطاً ، ورقبة فانلتى ناصعة البياض ، وحذائى لامع ، فرفع اسمى طالباً وساماً لى ، وقال لعبد المجيد أن القرية كلها كرمت معك فانتفش ريشه وانتابته نشوة ولحظة نشاط صاحبها رفسة فى ظهر الحمار ، فأخذ يجرى مدة عدة خطوات ثم رجع إلى سابق عهده .

فى طرف القرية منزل خالته ، وسط حقل لهم ، يبعد عدة أمتار عن الطريق الموصل إلى إيتاى البارود ، الذاهب إلى المدينة أو الآتى منها لابد أن يرى هذا المنزل ، قال لعبد المجيد أنه سيسلم على خالته ، انتظر بجوار الحمار ، عندما رأته وعلمت بسفره لم تصدق ، قالت إننى أحضر لك العشاء، فقال لها إنى تأخرت ، كان الإناء على الكانون المصنوع من قوالب الطين يفح بالنار ، جدران المنزل بالطين التى ليست ممحورة ، بينها شروخ ، على الجدر عناكب كثيرة ، جزء من وسط الدار مسقوف بحزم حطب الذرة، المليئة بالتراب والدخان تتدلى نهايتها فى خلاء وسط الدار ، وأولادها الكثيرون يلعبون بالتراب والطين مع الفراخ والبط والبهائم ، والكبرى شعرها سلاسل ذهبية ، عيناها حزينتان جالسة فى ركن وسط الدار لا تتكلم.

بجوار الكانون يوجد الزير مملوء بالماء المعين ، أمسكت خالته غطاء الحلة بيدها ، كان ساخناً فتصاعد البخار ، لم تقدر على تحمله ولسعة الغطاء ، فسقط بجوار الكانون ، وفى الفرخة غرست يدها ، وضعتها فى الغطاء ، ضغطتها بين يديها ولفتها فى ورقة ، وقالت هذا عشاءك يا ملحوس ، فشكر خالته .

فى الطريق إلى منزلـها مـشى على شط قناة صـغيرة تمشـى فيـهـا ميـاه موجـودة فى وسط الحقل وأمـام بيتهـا ، به ذرة فى حاجـة إلى الرى ، جرى بسرعة ، غرست فردة حذائه اليسرى فى الطين ثم أسفل البنطلون، لم يهتم، ومن بعـيد جاءه صوت عبـد المجيد بـسرعة حـتى تلحق القطار ، احـتضن الفرخة ، وقالت له لا تأت ثانية مادمت هكذا متسرعاً ، من بعيد قال حاضر ثم ابتسم .

كالنسـيم يجرى عبد المجيـد ، حذاؤه ثقيل ، لا تسمع له صـوتاً ، قال له لماذا لا ترسل خطابات ، فقال إننى أرسلت أكثر من خطاب ولم ترد ، فقال أنا مشغول ورائى أعـمالٌ كثيرة ، فرد عليه قـائلاً بحدة لماذا إذن تقول أرسل خطابات ؟ وحشـتنى يا عبد المجـيد منذ متى لم أرك ؟ قـال أن هذا منذ مدة طويلة قـاربت على العـامين ، ولما سـأله عن عـمله فـقـال الحمـد لله ، لا اعتـراض ، قلب عليه السؤال ، فى كـلامه مرح وحب حنونى جـذاب وثقة متهـورة ليست قابلة للمناقـشة ، فكل شئ مسلم به ، فى القـوات الخاصة ، مشدوه ، فـليس هذا معقولاً ، فـقال له : ولم ؟ قالها وهو يضـحك ضحكة ساخرة لعن على أثرها الحمار ، مـحافظ على المسافة فى الجرى ، ولا يدرى لماذا أحاطتـه سعادة غامـرة ، دائماً مع التيار كن ، لا تقلق ، لا تمل ، الـصبر مفتاح طائع لفتح قفل باب موصد على رغباتك .

كان الحمار قد بدأ يكل ، وكانا قـد قطعا مشوار طويلاً ، فها هى الأنوار المتواضعـة من بعيد تبدو متلئلئة رغم البـعد ، شخط عبدالمجيـد فى الحمار ، رفسه ، استـمد الحمـار قوة جديدة ثم بدأ يجرى بسـرعة معقـولة . حوافره تتكتك على الحـصى ، ثقيلة ، تخيـل أنها تحـفر الطريق المرشوش بـالمياه فى

هذه المنطقة لقربها من المدينة ، لأن المفتش لا يفتش إلا على بداية الطريق .

وجد عبد المجيد يسحب جلبابه من أمامه ثم يرتديه مردفاً بأن المدينة قربت ، وكانت الأشجار بجوارهما من الجانبين صامتة ، أشجار الكافور والجازورينا الطويلة المغروسة من زمن لا يعيه ، تتلاقى هامات الأشجار المجاورة والمقابلة فارشة ظلها بالنهار ورعبها بالليل ، الطريق أشبه بسرداب محفور للهروب من سجون النازية .

كان عبد المجيد فى المدرسة ، والده مزارعاً ، لما أنهى الابتدائية بمجموع ليس كبيراً يؤهله لدخول مدرسة إعدادية فى ايتاى البارود ، قالوا له يجب أن يذهب ابنك إلى مدرسة نكلا العنب ، لا تبعد كثيراً عن القرية ، فالمسافة متساوية ، رفض ، إما إيتاى البارود وإلا فلا ، وكانت لا ، وتتغير المصائر وتتبدل الأحوال وتتداخل العوامل وتسقط أمم ودول وإمبراطوريات عندما لا تقدر معنى الحروف المنطوقة .

أشرفا على المدينة ، دخلا فى الطريق المسفلت ، تركا المستشفى الأميرى الفخمة وعدة بيوت ، كان عليهما أن يعرفا الوقت وهل تأخرا أم ما زال هناك فسحة ، ولم يكن مع أحد من الذين قابلهما ساعة ، وكل من يسألاه يقول لهما لا أعرف بالضبط ولكن من الجائز أن تكون كذا أو كذا ، ودخلا قلب المدينة .

محطة القطار فى الطرف الآخر ، وعندما حثا الحمار على السرعة ودخلا إلى مكان المحطة وقفا مذهولين ، إذ أنهما لم يجدا مبانى المحطة، أو القضبان الحديدية ، ولا حتى البوفيه المشهور ، وكل من يسألاه عن المحطة ينظر لهما من فوق لتحت ويبصق ويمضى ، وفى هذا المكان وجدا الأبنية

المهدمة قائمة على كومات رمال كثيرة عالية ، فيها بقايا من قش وتبن، تطير مع دوامات الهـواء الجارفة ، فيلسـعهما الـرمل فى وجهيهـما وعيونهـما ، وكانت الأبنية المهدمة معششة بالبوم .

نظر إليـه عـبـد المجيد ضـاحكاً ، قـال مـا الذى يضـحك ؟ فـازدادت ضـحكتـه، مشوبة بسخـرية مقيتـة ولـم يعرفا أين همـا ، وفى أى مكان كانا، كان المكان غريب ، غريباً .

ورغم الانهاك والتعب وجدا الحمار يفتح خاشميه ويتشمم ، رافعاً أذنيه فى زاوية حادة ، ودوى صوته بنهيق لا يتكرر إلا عندما يرى اتثاه .

نظر لعبد المجيد فوجده يدير رقبة الحـمار وينط فوقه راكباً ، ويهز ساقيه فجرى الحمار ، ومن بعيد سمع قهقهة لعبد المجيد حملت بعض الرمال إلى عينيه فأخذ فى تنظيفهما .

يونيو ١٩٦٩

روزا اليوسف ٢٧ أكتوبر ١٩٨٦

المفقود

بعد أن نهرته زوجته استيقظ من نوم للذيذ ليخطر بياله الملعون ، ميعاد العمل على وشك البدء ، ارتدى ملابسه ومشط بقايا شعر فى رأسه ثم نزل، أحس بالتعب ، ظن ذلك من السرعة ، لشدة مرضه لا يبدو أى عمل ضعيف أمامه إلا قوياً ، المسافة من منزله لمحطة «أتوبيس ٤٠» ليست بعيدة. وقف قليلاً ، «الأتوبيس» مزدحم وميعاد العمل سوط يلهب ظهر رجل مثل عبد الحافظ ، تحمل وضغط قليلاً على نفسه وعلى غرمائه. أندس بين الوجوه والأجسام ، تحرك يبطء ، دخل وسط «الأتوبيس» ركن إلى مقعد واسع بعد معاناة ، أمسك المسند بيده ، العرق يتصبب منه ، التعب أنهك قواه ، بدت خطوة كبيرة نحو صحة جيدة، ومشوار لسيطرة الجسد على جزء من أجزائه المبعثرة ، الزحام يشتد والسائق لا يرحم . والمرضى مرضى سواء نفسياً أوجسدياً . وقفت بجوار عبد الحافظ سيدة تحمل طفلاً بين يديها ومجهولاً فى بطنها، تضغط على نفسها وتتحمل دون جدوى ، هزات عنيفة ، سرعة ، أكل عيش ، عمل ، الحياة سياطاً تلاحق الثكالى قبل

الكسالى ، وقف الأتوبيس بشدة ، انقلب الجمع ، ارتطمت السيدة بعبد الحافظ رطمة قوية هزته هزاً عنيفاً ، آلام شديدة تعاوده ، لم ينطق ، نظر للسيدة ونظرت له . وشابان جسداهما فارعان يتوسدان مقعدا أمام المريضين ، سيدة تأبى أن تفصح عن مكنون نفسها وتتحمل فى صبر وأناة وأنتما لا تباليان ، تهامسا وأرسلا ضحكات مجلجلة ، هزات عنيفة ، «الأتوبيس» محشو كتل بشرية ، مرض عبد الحافظ يزداد ، خلف السيدة يقف رجل طويل يتحاشاها ويتهامس الشابان ، الجميع ينظرون له ، عيونهم كمشارط ، والسيدة تتحمل وتكظم غيظاً دفيناً . الصباح وأجساد الناس على هذه الدرجة من الغليان ، الغيظ يريد أن ينفث سمومه من فم السيدة دون جدوى ، تريد أحد أن يسمع أفكارها ، الشابان مازالا يتهامسان ويضحكان وينظران إلى الطويل بتهكم ويضحكان .

ينظر لهما بحقد ومرارة، ضغط قليلاً، الكل يتأفف ، لابد أن تتحملوا قليلاً ، وقف خلف عبد الحافظ الذى استدار ، عيناه غائرتان ، مرهق ، وأنفاسه متقطعة ، وعرقه له رائحة قاذورات مختلطة وجاءه صوته :

- لابد أن نتحمل .

ينظر إليه بعينين مكدودتين ، الشابان يضحكان عالياً ، ويلقيان نكات بذيئة والرجل متجهم يخفى فى طياته حقداً مجنوناً ، وبصوت مسموع لعن تلك الوجوه القذرة التى قدر له أن يراها فى هذا الصباح، حرارة الشمس أدارت الرؤوس ، الرائحة كريهة والنوافذ مفتوحة ولا ذرة من هواء ، ونظر تجاههما بتحد سافر وأحسا بنظراته تنفذ خلالهما ، ألقى بلعنة ثانية على هذا اليوم المشئوم الذى أراه وجوها مثل هذه الوجوه ، قال عبد الحافظ :

- ألا يكفى هذا الاختناق ؟ من فضلك كفى سباً ولعناً ولا داعى للمصائب .

- أطبق فمك أنا لا أقول لك ، أقول لهذين الجرذين يريان السيدة فى حالة سيئة ويتساخفان .

قال لزميله الجالس بجواره :

- يريد أن يكفر عن سيئاته .

الشرر يتطاير من عينيه ، ماذا تنوى أن تفعل ؟ دع اليوم يمر ولا داعى للمتاعب . ويصوت شد الرؤوس :

- أى سيئة يا ابن الدنئ .

انقض عليه ، قذف بعبد الحافظ فى جانب ، ارتطم بالسيدة ، دوخان شديد يعتصره وغثيان ، وركبه تصطك وهوى على كتل بشرية رحمته من الارتطام ، أصبح كالثور خوارا والحية فحيحاً بدون صراخ ، ولكمات كثيرة من الجانبين ، الهرج يسود الأتوبيس ، فقدت السيدة توازنها وسيطرتها على القبض بمسند الكرسى والابن تطاير كالكرة وارتمى على الكتل باكياً ، لا تعلم أى رضوض فى جسده ، ولم ينته الصراع ولم ينتبه عبد الحافظ من غفوته ، تحملت السيدة واحتضنت طفلها الذى وجد من يحميه ، لم يجد عبد الحافظ أحداً يساعده فى محنته ، فضوا الاشتباك ، ابعدوا الأنفاس عن الرجل ، حالته سيئة يريد التهوية ، تطوع أحدهم بمقعده ، السيدة تتحمل وتفتح حقيبتها ، وبعطر جميل الشذى عبق سيطر على الأنفاس دلكت وجهه ، عبد الحافظ بدأ يترنح ، صحصح يا ، لم يبق يا رجل على مكانك

إلا قليلاً ، وإغفاءة طويلة وجد نفسه على مقعد ، رائحته أيضاً نفاذة وشذية، لعلها إحدى النوبات يا عبد الحافظ ، لا تأبه فما عادت ذاكرتك تقوى على شئ ، تحمل فى بطء وأناة ، ينفض الأتوبيس الآن راكبيه بقسوة.

الأعمال مكدسة فى مناطق ، لماذا تنظر وتتألم ؟ أخلا الأتوبيس الآن؟ تحملوا ، ولمتى يتحملون ؟

أفكار مريضة ؟ ولماذا مريضة ؟ أإنسان يحب الراحة يكون مريضاً فى نظركم ؟ وشاب منهما يسأل المحصل :

- كم محطة تبقى على عين الغدير ؟

أتبحثان عن الغدير ؟

ويقول المحصل :

- تركتها بمحطات وعليك أن تقطع المسافة بتأن فليس وراءك أعمال.

الأتوبيس الآن خال ، المقاعد الفارغة كثيرة ، الطفل يجلس فى مكان وأمه فى آخر ، انتهاء خط المواصلة ، عبد الحافظ يتأسف للسيدة ويسألها :

- ولكنك لست موظفة وما الداعى إذن لهذا الزحام ؟

- زوجى مريض ولابد أن أراه .

عند الغدير الماء ينساب بهدوء ولا صوت ، ويقول لزميله :

- قميصك ضاع كواؤه .

- فعلاً لابد من تغييره .

ومن بعيد كان الآخر يلعن الأيام .

مجلة نادى القصة أغسطس ١٩٦٨

صحائف الإرث المقدسة

كرهت من أجل هذا السؤال كل علامات الاستفهام ، باتت تريد أن تأخذ كل الأمور على علاتها ، ولا تأبه.

السؤال ملحاح ، يطرق فى كل دقيقة وكل فرصة تواتيه بين دقات الثوانى أذنيها ، متمكناً من كل خلايا رأسها ، مقض لمضجعها ، لا يبرح مخيلتها منذ سافر قرينه .

متى يأتى ؟

هى تعرف الوقت وبدقة متناهية الذى سيجئ فيه ، لكنها قلقة ، ليس هذا القلق العادى الذى سرعان ما ينتهى بظهور نتيجة ما يقلق الإنسان من أجله، سواء أكانت النتيجة على هوى الإنسان ، أم كانت عكس ما يريد ، متشعب خلف قلقها هذا سنين طويلة من الترقب والانتظار ، صاغتها وحكمتها لهفتها الراغبة فى تمكين الذات من إثبات الوجود فى شكل إعطاء الفرصة الوحيدة (ما أمكن) كل متطلبات نموها ، لتأخذ مجراها الطبيعى الذى دأب الخلق على مزاولته .

متشعب أيضاً أمام قلقها هذا عمر طويل- باقي عمر - من وحدة باردة، وعذاب دائم قائم ، وذئاب المدينة لا ترحم ، كما أن ذئاب الجسد ليست أقل قسوة ، وبين محاولة عدم التردى والارتفاع بسمو الذات كانت تتخيلها تنهش جسدها نهشاً ، وهي أحياناً مستسلمة راضية ، فحتى فى النهش فى بعض الحالات التى ليست على هوى الإنسان لذة أيما لذة.

قلق يجعلها منقبضة ، تتراءى فى رأسها آلاف الأفكار ، وتتشابك وتتعقد حتى أنها لا تعرف شيئاً البته عما تعانيه ، ربما رواسب لحوادث مرت بها مازالت متعلقة بعقلها ، وهى لا تنى تبحث عن هذا المقض لمضجعها دونما جدوى .

وقفت جدران حجرتها مذهولة لتلك التطورات الجديدة التى بدت فجأة من صديقتهم الحميمة ، لا تُقدّر الجدران قيمة هذه التطورات ولكنها أفعال بدت لها للوهلة الأولى غير منطقية ، قامت فجأة من السرير ضاربة غطاءها الرقيق بقدميها دفعة واحدة ، تكور والتصق بعارضة ظهر السرير ثم انتصبت ووضعت يديها على دماغها ، ونظرت وهى على السرير واقفة إليه، ثم قذفت بنفسها إلى أسفل ، ومشت تضغط على الأرض بقدميها محدثة جلبة وضجيج عندما تعمدت أن تلبس حذاءها ذا الكعب الألمنيوم ، ثم جرت إلى المطبخ محدثة دوياً فى أدواته عندما أمسكت صينية شاى صغيرة من النحاس وصينية أخرى من البلاستيك وأخذت تخبط الأولى فى الثانية ، وضعت الصينيتين وأخذت تخبط يداً بيد ، مصفقة ثم أمسكت بكوب وخبطت به آخر ، ودوى ضجيج كسرهما فى أنحاء الشقة ، دفع الأم إلى أن تتساءل عن الذى يحدث فى المطبخ ، تناولت قطعة خبز وأخذت تلوكها ثم ما لبثت أن بصقتها .

ثورة غضب جارف اجتاحتها ، أشعلت نيران تأجج متقدة فى جميع خلايا جسدها ، جعلتها تمزق بلوزتها غير آبهة من عند فاصل النهدين الضامرين ، طوقت صدرها بيدها معتصرة إياه فى غضب جامح ، وعندما ذهبت إلى الحمام وأخذت حماماً بارداً تعمدت ألا تجفف جسدها ثم لبست الفستان على اللحم فأظهر كل ثنية فى جسدها .

قلقها من هذا النوع الذى يسيطر على كل ذرة من ذرات العقل ، حتى ليجعل هذا المملوء بآلاف الصور والذكريات والحسابات والأشخاص المتعددة الأشكال والألوان ، الذى مثل دفترى ملكى محاسبة الإنسان ، الذى فيه يسجلان الحسنة قبل السيئة ، ليجعل كل هذا ليس له وجود ، يمسحه بممحاة لتقذف الصورة بكامل حذافيرها .

وتتربع فيه تلك الصورة التعيسة التى من أجلها تعيش قلقها هذا ، متى يأتى ؟

حروف كلمات السؤال مجسمة ، مكبرة ، لها صدى عميق ، تأتى إليها كأنها آتية من أعماق جب ، تطرق فى انتظام كل ذرة فى كيانها ، اتصل بها تليفونياً قبل أن يسافر إلى قريته ، قال أنه سيعرض الأمر على العائلة كما اتفقنا ، اختلاجة حانية مرتعشة عاتبة مستسلمة لكلمة تريد أن تقولها ولا تقدر ، مراعية لظروف كثيرة تحيط بها .

أرادت أن تلفت نظره بلطف إلى ما تود قوله ولكنها سألت نفسها أخيراً.. لماذا العجز ؟

أنى لك ألا تتكلمى ؟ أنى لك الصمت فى هذه البيئة ؟

إهانتك لإنسانيتك تنبع من ذات نفسك ، نابعة من محصلة تفكير قصير، حبه لها بالتأكيد هو الذى جعلها هكذا مشتتة الفكر ، دائماً لا تتخذل من يقدر على العطاء ، ودودة معطاءة ثرية ، تحفظ العهد ، موضع ثقة ، فلماذا لم تتكلم بما كان يختلج فى أعماقها بثورة فائرة معربدة ، مرجعه بالتأكيد من وجهة نظرها أنه مازال هناك أمل فيه .

هى لا تقدر على التغاضى عنه ، إنه ابنها البكر ، وفرحتها الطفلة ، وشعلة الأمل المنيرة للطريق الذى اختارته ، حب البراءة ، وأمل السنوات الغضة وماء خضرة أرضها الربيعية .

طال انتظارك ، متى تأتى ؟ لماذا لا تأتى ؟ أنا هنا شرهة للقياك .

قال لها أيضاً أنى أريد مفاجأة والدتى بتحقيق رغبتها ، دعت له بالسلامة وودعته ، ثم سألت نفسها هل سيحالفنى التوفيق ؟ بعد هذا العمر الطويل قرر بأنه سيعرض الموضوع على العائلة ، وليكن ، رجل ، نعم ، بل فلاح أيضاً ، والموت أهون عنده من الكذب .

أين وضعت مرآتى ؟ بحثت عنها باهتمام ، وجدتها منزوية فى أركان درج من الأدراج الكثيرة التى تملأ محتويات الحجرة ، تأمل ألا تجدها ، انتابتها رغبة عنيفة ملحة فى كسرها ، ولكنها رفيقة العمر الطويل التى تفضلها على أية مرآة أخرى ، كل تطورات الزمن التى أثرت عليها أثرت أيضاً على مرآتها ، تذكرها بكل شئ ، أول من استقبل وجهها الطفلى وخديها الجميلين ، وإذا أرادت أن تتذكر تلك الأيام فالمرآة خير صديق يعينها فوراً .

مشروخة ، عليها بقع مياه كثيرة ، مكانها فى الأطراف أسود ، نظرت فيها ، قفزت أمامها مرآة الفتاة الغاضبة الجسور ، التى ذهبت إلى الغول فى وكره لتحاربه ، لتبحث بين جنباته عن الخضر ،عاشرت الغول ست سنوات كاملة لتنقذ خضرها المنشود ، وعندما كانت عائدة نظرت فى مرآتها فوجدت نفسها طفلة صغيرة .

تنظر ثانية ، غزواً دائباً منتظماً لبويصلات شعرها الأسود فى الحاح لتحويله إلى لون أبيض بدت بوادره من الأمام ، منتشر بطريقة لا تخطئها العين ، تلاقت الخطوط المحفورة مع بثور وراثية قليلة جداً تعد على أصابع اليد الواحدة ، أعطت هذه الازدواجية مسحة قاتمة لأنوثتها الفياضة ، تجعيدة ليست مؤثرة تحيط بمنبت العنق الفرعونى السخى ، حول عينيها هالات واضحة ظاهرة متقاربة تعطى ظلالاً سوداء منتفخة .

تحسست المرآة وقبلتها ووضعتها فى مكانها ، كادت الدموع تطفر من عينيها ، ابتسمت لهذه الخاطرة الحانية ، ملست نهديها الضامرين بسرعة وبيدها اليسرى غير آبهة ، النهدان لا يكادا يبرزان عن مستوى الصدر إلا قليلاً ، والساقان ظهرت العروق الزرقاء فيهما .

دموع تترقرق فى عينيها ، هادئة ، عيناها مثبتتان فى السقف كأنها منومة مغناطيسياً ، تراءى لعينيها وصف حجرة عائلته التى كلمها عنها، استقبله أخوه الصغير على محطة القطار وقال له أن الركوبة (الحمار أو الحمارة) مربوطة فى طرف البندر ، لأنها مجروحة ، وأن عساكر الشفخانة يتربصون بكل الركائب الآتية من القرى ، ويفتشون على ظهرها ، وإذا وجدوا بها أى خدش بسيط يستولون عليها طمعاً فى علبة سجائر أوبريزة ، ضحك من

أعماق قلبه كعادته ، ضحكته رنت فى أذنيها ، حلوة بريئة ، تود كثيراً أن تسمعها ، ساءلت نفسها لماذا لم اكتشف قبل الآن إنى كنت فى حاجة ماسة لتسجيلها .

دغدغ خد أخيه ، لعبت أصابعه فى شعر رأسه الذى طالما كلمها عنه، تحسست شعرها وأردفت مبتعدة قدر طاقتها عن ولوج علامات الاستفهام ، أصابعه تركت بصماتها فيه ، ولن يقدر على محوها الزمن .

لمنظر هز ساقيه ضحكت ، ساقاه الآن يحتكان ببردعة الركوبة ، يشخط فيها حاثاً إياها على السرعة ، يضحك أخوه ممسكاً بجاكتته خوفاً من أن يقع، قالت له أمه بعد أن احتضنته : وحشتنا، قبلته فى وجهه وعينيه وأثناء ذلك شم رائحة أمه المعتادة والذى دأب على شمها منذ الطفولة والتى لن ينساها مدى الدهر ، رائحة متميزة، فيها رائحة خبزهم المطرح القديم الناشف ، والذى دائماً تضعه بين البرسيم الأخضر ليلين ، فيها رائحة خميرة العجين ودفء اللبن وتراب حجرة نومهم .

يجلس على الحصيرة، رائحة حذائه تنبعث فى أركان الحجرة، ما يزال لابساً لجوربه، وهو متأكد حتى ولوخلعه فلن يقوم أحد من الذين جاءوا من أهله ليستقبلوه ، يطيلون الجلوس ورغم أنه متعب ويريد الراحة إلا أنه لا يقدر أن يبدى رغبته، تحس بذلك، ابتسامتها لا تفارق شفتيها.

نار القوالح كتلة من اللهب لا ترف ، دخان جعل الجالسين يفركون عيونهم ، الحلة التى تغلى والدته فيها اللبن فار جزء منه عليها. فرفعتها بطرف جلبابها الأسود ، ضحكته كعادته لا تفارقه . كل من بالقاهرة بخير وأنا بخير ، إنى أسأل عنكم أنتم ، أختى ، أولاد أختى ، لماذا لم يأتوا ؟

يحبها ، يضحك ، يدغدغ الأطفال ، دائماً ما كان يحمل صورة طفلة وطفل في بطاقته ، ودائماً ما تحدث عن الأطفال .

انتابت الأب رغبة غاضبة في رفع يده وصفعه على خده ، تطاير الشرر من عينيه ، ولو لم يكن آتياً حالاً من السفر منذ أسبوع وباقى له يوم أو اثنين لفعلها وانتهى الأمر .

وضع يده بجانبه ، لم يتحدث ، وقالت له أمه ، ماذا حدث لك يا ولدى، عهدى بك دائماً عاقلاً وحكيماً .

كان الجميع واجمون ، وقال والده : إنك لن تحظى برضاى ، كيف تكون عاقاً إلى هذا الحد ، ولم نكتشف ذلك إلا مؤخراً ؟ ، إننى فى تلك الحالة سأعلن براءتى منك ، خبطت الأم على صدرها مولولة متهمة إياه بالجنون ، وقالت أخته إننا انتظرنا هذا اليوم منذ زمن طويل فكيف تريد أن تحرمنا منه ؟ .

كانت رقصات دموع عينيها تزداد ، وكانت الألوان تتكاثر وتتشابك ، وأفكارها غير محصورة وغير محددة ، وتهويمات أفكار كثيرة مشوشة تجعلها تنسى فى أى شئ كانت تفكر .

الجامعة ، زميلات وزملاء ، أساتذة ومدرسون ، زميلة لأيام الدراسة لا يغيب تكوينها فى أشد ساعات الحلكة عن عقلها ، تخطر الآن بأيام العز والمرح ، بشعرها الأسود الفاحم الطويل المتهدل فى فوضوية شاملة، بفكرها المتحصر فى ضرب الدنيا صرمة كما كانت تقول لها ، من أشيك بنات الجامعة رغم أنها فقيرة ، ألحت عليك فرفضت ، ألحت ثانية فبعدت عنها ،

أضحت سيـرتكم المفضلة ، وجلدتن كل غزغزات تنفسـات الجسد ، بنفس درجة نجـاحها كنت تتجـحين ، وما ذنبي إذا كـان الأستاذ .. ؟ وليكن ، فـيا للآن هل تتحـمل مسئولية تطور فكرها الجـذرى والمدى الحادث تحت ثورة بركانية عاتية والذى تتحمل أنت الآخر الجزء الأكبر منه .

زميلتكن قـابلتك ذات مرة ، كـان أولادها معهـا ، وكان شعـرها مايزال أسود وكان يزداد طولاً .

خيـوط رقيـقة مشـوشة لأضـواء رمادية مختـوقة لمدينة تسبـح فى ثبات عميق غير آبهـة بضحاياها . لياليها الطويلة تبدأ دائمـاً بضباب رمادى خانق يكتم أنفاس الهواء ، تقطعها محبوسة فى قوقعة نفسها ، فى حجرة واسعة ، مملوءة بنوافذ كبـيرة هواؤها فاسد ، تمنت أن يعـرضوا عليها أنواعاً مـختلفة من الهواء فتختار ما يروقها .

أسدلت الستائر الوردية ، لا تدرى لماذا تحسستها ، وبسـرعة قبضت على جزء من ستارة وعـصرته بين يدها اليسرى وغابت مدة قابضـة عليه، الرغبة فى البكاء مشروع طارق بالفـعل لعقلها منذ مدة ، سرعان مـا انخرطت فيه بصـدق ، ورغبـة حقـيقـية فى الولوج إلى الـعالم الذى تـتمناه ، تمشت فى الحـجرة ، تنظر إلى يدها الـيمنى ، مـتكورة على لا شئ ، مـتحـفزة ، تنفـر العروق المملؤة بالدم فى ثقة ، واليسرى كذلك .

شعـرها مهـدل ، الوجه جهم ، حـجرى القـسمات ، القـوة الخفـية التى تحركـها جعلتـها تنتفض وتخبـط رأسها فى الحائط ، وجـهها يحـترق بالدم الفائر ، أمسكت التميـمة المعلقة بسلسلة رفيعة فى رقبتـها ، وبشدة عنيفة لا تريدها جذبتها فتحررت ، وأضحت طوع أمرها .

وبكل قوتها جذبت الستارة ، قذفت التميمة خارج النافذة دون تفكير، منساقة بغضب قلق ، ولو لحظة جاء على خاطرها مجرد أن تفكر لما قذفتها، ولربتت عليها واحتضنتها ، ووضعتها فى سوتيانها ، حانية عليها موشوشة إياها .

أعطاها لها ذات ليلة دافئة فى أوائل الربيع ، القمر خنقته مرعوشة تجعل كل القلوب أسيرة له ، النيل غامض ، تمشى على كورنيشه الحياة.

الترمس والخس والمثلج الذى يبرد السخن ، والذرة المشوى والفول السودانى والبطاطا ، الهواء كان لطيفاً ، تعاهدا كطفلين ، أخرج التميمة من جيبه ، إشتراها من مصروفه الخاص ، قال لها كل شئ ، متأكد أنها تعرف ، تغاضت ، يريديها أن تتكلم ، قبلّت التميمة وشكرته ، وضعتها فى عنقها ، ساعدها فى ربط المشبك .

من يوم أن عرفته وهو صديق العائلة ، ابناً لهم ، زميل طيب ورفيق رحلة ، دائم الأنزواء ، من بينهم جميعاً اختارته هو ، وعرفته عائلتها ، راض بهذه المعرفة .

يتناول الطعام معهم ، تغسل له ملابسه أحياناً ، وأمه ترسل له فى الخطاب سائلة عن ملابسه وكيف يغسلها ، قوبل بالاعزاز والفخر .

عندما قذفتها كانت تملك قوة هرقلية ولو كان موجوداً لصرعته وبذلك تنهى حياتها .

آه لو تعرف الآن ما أنا فيه ، أترك لنفسى العنان ، أتخيل أشياء كثيرة، أريد ضمك لصدرى ، الحفك بلحافى ، أضع دماغك فوق مخدتى، تأكل من فمى ، تتنفس من رئتى ، تبلع ريقى .

صمت ثقيل يطبق عليها ، يكاد يخنقهـا ، الشارع يبتعد والزحام يخف ، ليل صيف جـميل ، وليس لأضـواء المدينة سيطرة كـاملة على شوارعـها ، خصلات شعرها يداعبها النسيم ، كم عاماً مرت منذ أن أتى هذا الفلاح إلى المدينة وأنت تعرفـينه ؟ عطرها الهادئ يثير الرغبة ، تغالبـها دموع كثيرة ، أرادت أن تذهب إلى المنزل ، انتابتها رغبـة فى مشاهدة والدتها ، قال لها أن شقته الجديدة أبعد من بيتها بقليل ، جميلة وكبيرة ، انتابتها نفس الرغبة فى مشاهدة شقته .

رأت حجـراتها ، أطلت من النوافـذ وسألت عن الجيـران ، وأخذت فى تعداد النوافذ ، رأت المطبخ ودورة المياه ، أجرت عمليـة حصر لبلاط الشقة، وضعت السـتائر ، وضعت الألوان المناسـبة للصالون والـنوم وللصالة ، ثم شربت الشاى ثم ودعته .

استقـبلتها برودة لافحة ، مـياه برك ومستنقعـات محت أديم الشوارع ، انغرست رأسـها التى تمشى مهزوزة ، فـى المياه ، رائحتهـا عطنة ، وحذاؤها مبلول .

قوة الشمس مزقت ستائر حـجرتها الوردية ، ركزت نظرها على الضوء فوجدته يتسرب بثقة وقوة ويضـحى كياناً قائماً بذاته ، شمس لون دم غزال يروى ظمأى وعطاشـاً ووحوشاً وأنذالاً، وهى ممدة فـى سريرها نظرت إلى نوافذ حجرتها الكـثيرة الواسعة ، انتفضت من السرير وفـتحت الستائر فزاد الضوء فى الحجرة ، استنشقت هواء الصبح النظيف وعبت منه عباً .

يناير ١٩٧٠

نقط سوداء

محطة الأتوبيس . ركنت بجوار المظلة . صرخات بائع الكوكسا خرمت طبلة أذنى . ضحكاته سموم تقطع أحشائى . السيارات تمرق . يدىّ تحمل أوراقى المهملة . جموع لا حصر لها محتشدة . تزداد وتتقاذف داخل الأتوبيس . الزحام يشتد وفتاة تضرب جدار الأتوبيس بعنف . جاءنى صوتها محشرجاً باكياً ، سائقين سفلة ، بنطلونى ازدادت حدته ونزل إلى أسفل ، القميص فى الخارج وحذائى غير مربوط ، وأزرار البنطلون مفككة، مازالت تسب وتلعن رغم اختفاء الأوتوبيس ، وقفت بجوارى تحمل كتاباً، الساعة الرابعة ظهراً ، لم أتناول طعام فطورى وللآن لست جوعان ولا شبعان ، ساقاى تدوران فى رتابة ، أريد إشعال لفافة ، لا لزوم لها . ابريل بجوه الخانق وهوائه المترب الساخن وأوراق الشجر المتساقطة . انتهيت من العمل. انجزت الأوامر ، لا لزوم للزيادة..

نفسيتى لا تتحمل أكثر من ذلك ، فى الصباح هيأت نفسى نفسياً وزودتها بالطاقة الكافية . جلست وأمامى لوحات الرسم غير منظمة . طاقتى انتهت . بقيت ساعة . دخل المدير :

- أمامك وقت كبير .

- «لا استطيع . أكثر من ذلك» .

- لابد من تنظيم هذه اللوحات .

-«طاقتي .. كل شئ له طاقة» .

- كفى عبثاً .

ضحكت :

- «وليكن» .

أخذت اللوحات . رتبتها . لم أقف . جسدي يسري فيه مخدر عجيب. ساحر . امتناع عن العمل وانذار بالفصل كله سواء ، يداي مملوءتان بالحبر والأدوات على المنضدة والمحبرة مفتوحة ، نظرت حولي لينقذني أحد الزملاء ، وجدت المناضد خالية ، حاولت انتزاع نفسي ببطء ، جسدي قطعة مغراة بقاعدة المقعد ، سيدي المدير أقول لك الحقيقة فتتهم جيلاً كاملاً، اهتزت المنضدة والمحبرة انقلبت وتدفق الحبر الشيني الأسود .. المدير نظم اللوحات والحبر بعيد . بنطلوني ارتشف الحبر الأسود ، سرى بين ساقي بارداً ليتسلل إلى المقعد ، ذاب الغراء ، عزلني ، فقمت ببطء . تساقط الحبر نقطاً سوداء لزجة . امتص بنطلوني قدراً كافياً ، لممت جرائدي ومجلاتي وكتبي (مهملاتي) من فوق مناضد الزملاء ، كما هي بدون ترتيب . النقط التي امتصها البنطلون أصبحت جافة . حادة ظاهرة . البنطلون شائك يحتك بساقي فتؤلماني . مازالت الفتاة تسب وتلعن رغم اختفاء الأتوبيس . وقفت بجواري تحمل كتاباً ، بدا الشجر أخضر ، والعصافير تزقزق وخصر فتاة بين

يد حنون ، تلفهما ابتسامتها العذبة ، ولم أرتب شيئاً فى بنطلونى ، وطفل يصحب أمه الحامل وأبوه يحمل أخته الأخرى ويضحكون وقطة هناك تموء داووووود . نظرت إلى الكتاب واجهته تحتضن فخذها . انتابنى قئ وابتلعته ، ونظرت للكتاب ثانية . منذ عامين كان الشجر أخضر . وجدت فتاة تحمل كتاباً انتابتنى رغبة قاسية فى قراءته :

- «الآنسة من فضلك .. تسمحى كلمة» .

- أفندم .

وجه الفتاة العابس الآن لم يبعدنى عن شكل نظيرتها الأخرى التى لقيتها من قبل فى ذلك الوقت عينه . قالت أفندم بحدة ومرارة وسخرية . أردت أن أشرح لها إنى إنسان جاد غير هازل . وقفت الكلمات فى حلقى كالصخرة :

- ماذا تريد ؟

كررت سؤالها مرة أخرى . انتفضت خصلة شعر على جبينها وتطاير الشرر من عينها .

- «لا فقط كنت أريد أن»

- إيه ؟ أكمل .

- أقول يعنى . إنى أهوى

ولم تنتظر تكملة جوابى وهوت على صدغى . وهويت . ضحك الناس ونكست رأسى ومشيت ببطء . كانت يدها تحمل خاتم الخطوبة . لم أفكر بعد ذلك فى التحدث إلى مخلوقة . نظرت للكتاب ثانية . نظرت لها .

وجدتها تنظر لأشيائى المهملة . تركبنى فوراً عفاريت الدنيا عندما أرى كتاباً ولا أعرف عنوانه . طولهـا متوسط . رشيـقة . عيناها عـسليتان . ملابسـها سوداء . واجهته تحتضن فـخذها . ركزت نظرى لعل ذاكرتى تحملنى لمعرفة عنوانه دون جدوى . شفتاها مستديرتان محروقتان عليهما بوادر ابتسامة !! خلتها تقول الشجر أخضر والعصـافير تزقزق . وجدت الكتاب يتحرك بين يديها ، وضعت يدى مكان الصـفعة القديمة . نظرت ثانية «دكتـور زيفاجو» تحـركت إلى جـانب الفـتـاة . الحـذاء يريد أن يـتـرك قـدمي . تمسكت به . باستـرناك . الصـفـعة مـازالت تؤلمنى والبنطلون حاد أزراره مـفـتـوحة . نظر الناس إلى . كنت غير موجود .

- «الآنسة من فضلك .. تسمحى كلمة» .

وضعت يدى على صدغى . شعر ذقنى نابت طويل . منذ متى لم أنظف ذقنى ؟ لا يهم ، نظرت لى مستجوبة ، كررت السؤال .

- أفندم .

لم تبتـسم . أفندم حانية حـلوة . صوتها أحـسست فيـه برنة أسى حزينة ونظرة عطف بشفقـة ، كيف يرسم الناس ابتسامة على شـفاههم ؟ حاولت أن أبتـسم . أن أنتزع حـتى نصف ابتسـامة دون جـدوى . كانت ضـحكتى مفقودة وابتسامتى لم أحدد شكلها .

«أعذرينى .. أعتقد أن ..» .

- أفندم

- إذا كان ممكناً يعنى .. أصل ..

شبه ابتسامة تخطر على شفتيها . فـركت عينى . ونظرت إلى المهملات التى أحملها . أحسست بلعثمتى وتشبثت يدى بصدغى :

- أصل إيه ؟

- «أسألك سؤال» .

- آه .. ممكن .

- «حضرتك !!» .

حركت يدها فانتفضت إلى الخلف مذعوراً ، فردة الحذاء اليمنى تركتها مكانى وتطايرت الضحكات من جميع الجوانب . غيرت الكتاب فى اليد الأخرى ، ووجدتها تبتسم ابتسامة متحفظة .الحران يبرد بالكوكا يا جدع . أردت أن أجرى بسرعة . أمسكت فردة الحذاء الشاذة ووضعت قدمى فيها . أحكمت غلقها وزررت بنطلونى وصففت شعرى الأشعث بيدى وأخذت منها المهملات

- «أنا شاكر لك فضلك» .

- عفواً . ماذا كنت تريد أن تقول ؟

لم تتأثر . سكتت قليلاً ثم قالت :

- ربما .

لم أقل لها أنها قالت لى أشياء لا تذكر . تتراقص أمام مخيلتى الآن كلمتها التى لن أنساها ، بهدوء قاتل فى البداية ثم تصنع حلقات متشابكة دائرية فى دوامة سريعة عنيفة محيطها (لم يبق) ومركزها (إلا أنت وتلك الصفعة (قلتها .. قلتها) :

– وماذا فعلت ؟

– «نكست رأسي ومشيت ببطء . ولكنى وضعت يدى على صدغى قبل أن أحدثك» .

– المهم ؟ قل .

– «أنا أهوى القراءة» .

كالمدير تماماً عندما أطلب منه شيئاً وهو يعرف ما أريد ولكنه يستوضح الأمر :

– آه .. آه .. ويعدين .

– «هذه الرواية» .

– دكتور زيفاجو ؟

– «نعم»

– ماذا تريد منها ؟

– أود قراءتها . سألت عنها فقالوا غير موجودة . سألتهم متى تأتى؟ قالوا لن تأتى . ذهبت إلى المكتبات الأخرى قالوا أنها نفدت ولن تأتى . قرأت ذات صباح أن دكتور زيفاجو مثلت «فيلماً» وأن الفيلم سيعرض عندنا . رضيت بمشاهدته ولكنى كنت أود قراءتها . جائزة نوبل . استحكم فى فضول مشوب برغبة فى قراءتها .ذات صباح قرأت أن الفيلم لن يأتى واستسلمت . عندما رأيتك والرواية بيدك وجدت الفرصة متاحة لمحادثتك».

- لكن هذه الرواية جزء منى .

- «إذن لن تعيرها لى» .

- لا والسبب .. هل تريده ؟

- «يبدو أنها عزيزة عليك» .

حدة النقط السوداء إزدادت بشكل جنونى فأضحت قطعاً من الزجاج المشرخ . قطعاً مركبة بغير انتظام مشرخة ومدبية ولكن بتلاصق تام . تململت . ربما تساقط الزجاج . وكان هناك أيضاً زجاج لاصق بشعر ساقى من الداخل . قلت لها ذلك رغم أنى أود قراءتها ، أردت أن انتزع الحقيقة ، أن أقول غورى أنت وروايتك أو أبصق لكن دون جدوى . إرتبط لسانى بشدقى وأصبح فما أخرس قطع لسانه .

- «إذن لن أقرأها ؟» .

- ربما بعد فترة الحداد .

الزحام شديد والأتوبيس مزدحم بشكل مخيف وقلت :

- «ألا تركبين ؟» .

- لا .

- «لم ؟» .

- فى هذا المكان ذات يوم تعرفت بحبيبى . أحبنى . وضع خاتم الخطوبة فى يدى اليمنى ووضع دكتور زيفاجو فى يدى اليسرى . مات فى الحرب ، وانمحت ابتسامتها ، انخرطت فى بكاء مر عنيد . تركتها وتسللت

يبطء . وجهها رأيته معكوساً على زجاج مرآة مهشمة . مبتلة . ملتصقة على ورق مقوى ، هربت وسط زحام شديد . تعلقت . ملتنى المهملات واحتضنها الشارع ولم أهتم . الزجاج يمزق ساقى وينزف الدم ، وكل خطوة أحس بشعر ساقى ينزع نفسه بعنف . ويداى مخضبتان بالحبر الأسود، تذكرت أن معى ثلاثة قروش . كان المفروض أن أقول لها هل لك فى زجاجة كوكا .

مجلة الأدب أكتوبر ١٩٦٨

ربما شئ آخر

تكة وقع حذائها على أسماعنا عال ، سريعة تجرجر فى البلاط ، يكاد كعبا حذائها أن يجرفا البلاط معهما ، على باب صالة الرسم المؤدى إلى الطرقة وقفت . ضحكت ثم أشارت لى :

- سعادة البيه يريدك .

من تحت نظارتى أمسكت أعينهم المتسائلة السريعة الدائرة فى المحاجر كالمكوك ، تارة لى ثم للوحات الرسم على ترابيزاتهم ، ست عيون بالداخل وعيناها بالخارج مصوبة نحوى ، قذفتهم بضحكة أخرى ثم جاءتنا تكتكة حذائها ذاهبة ، نظرت إليها ، رشيقة ، فى مشيتها تهتز فتظهر مؤخرتها راقصة ، نظرت إليهم ثانية فأمسكتهم يترصدوننى ، انسالت ابتسامتهم على جانبى شفاههم ، فبادلتهم الابتسامة ، تساءلت مشدوها : ماذا يريد ؟ ضاع سؤالى فى أرجاء صالة الرسم الواسعة . سمعت فحيح صوت جامد متأن ، أعرفه جيداً :

- نحن فى أول الشهر .

تعالت الضحكات .كان أبو على هو المتحدث ، كبير فى السن ، يحب كل ما يمت للمطبخ بصلة ، أطلقوا عليه أشعب مكتب التصميمات المعمارية وجئت لأجد هذه الصفة لاصقة به ، خطاط ، خطه قليل من يصل إلى مستوى فنه وجماله ، لكن فاروق مهندس مسيحى رد قائلاً :

- ربما شئ آخر

نظر إليه منعم زميلنا الآخر مبتسماً ولم يتكلم ، فى البداية عندما جئت إلى المكتب لم أتكلم معهم وهم أيضاً لم يعيرونى اهتماماً ، لكنى لم أستطع أن أشجب فضولهم ، أخرج إلى دورة المياه ومن بعيد أسمعهم يتحدثون عنى ، أو أجدهم يقفون على ترابيزة رسمى ، لم تواتنى الجرأة بعد على اقتحام معاقلهم ومعرفة ماذا يعملون وكيف يفكرون . لكننى الآن محور اهتمامهم ، توطدت صداقتنا ، لم يعلق أحد على كلمة فاروق فقلت:

- مثل ماذا ؟

- ربما أعمال جديدة .

قالها بسرعة كأنه حافظ ماذا سيقول ، فى الطريق الذى سارت عليه سرت ، بجوار فتحة الباب الخارجى مكتبها ، بجواره سوتش التليفون وعليه آلة كاتبة ، مكتب سعادة البيه له بابان ، باب يفضى إلى صالة المكتب، وهو الذى ذهبت لأدخل منه ، وآخر يفضى إلى صالة اجتماعات تفصل صالتنا نحن - صالة الرسم - عن مكتبه ، قالت :

- تستطيع أن تدخل إليه من باب مكتبكم ، ليس عنده أحد .

تمتمت شاكراً، ثم توجهت إلى مكتبنا، وجدت ثلاثتهم حول ترابيزتى يتطلعون إلى تصميمى ، إثر مشاهدتهم لى انكمشوا كُل إلى عمله .

خبطة خفيفة جاءنى صوته قوياً آمراً إياى بالدخول ، امتقعت للحظة، كدت اتخلى عن مقابلته ، فتحت الباب ، رأيت بصالة الاجتماعات الكبيرة الترابيزة المبطنة بالجوخ الأخضر والكراسى السوداء مهيبة ، عبرت الصالة إلى مكتبه ، مكتب من خشب بلوط ، بللورة سميك ، كراسى بنى فاتح أنيقة كأنها مدعوة لحفلة فى دار الأوبرا الخديوية ، حوائط حجرة المكتب مكسوة بورق بنى مشجر حريرى ملصوق بالحائط فى زخرفة هندسية لا تقل فناً عن لوحات محمود سعيد أو صلاح طاهر ، فى مواجهة مكتبه لوحة كبيرة لمدينة القاهرة ، على أجزاء منها صور لعمارات قام المكتب بتصميمها وتنفيذها ، مستوى رقبته بمستوى المكتب ، فهو قصير ، رشيق جاوز الأربعين خلع النظارة مشيراً :

- تفضل .

قالها مشيراً إلى كرسى أمامه فجلست ، قال مبتسماً :

- كيف أخبارك ؟

قال الكاف مكسوره فابتسمت مطمئناً إياه فأردف :

- ما هى أخبار الوظيفة ؟

- كالعادة ، لا جديد ، أذهب فى الميعاد وأخرج فى الميعاد وأغلب الأيام بدون عمل .

- كل الموظفين هكذا .

كلمة سمعتها كثيراً فى هذا المكتب ، لم أعلق ، أريد أن أعرف ماذا يريد

- رأيت فكرة تصميمك الأخيرة .

من مـدة طويلة وأنا أحاول أن أخلق شيئاً جديداً . صـممت المشـروع أكثر من مرة . لم تعجبنى أية فكرة ، هو اقتنع فى بعض الحالات بإحداها ، لكنها فى عقلى وأعـرف ما ينقصها ، ولذلك أحـاول من جديد ، لا أعرف بالضبط هل سيقتنع بفكرة التصميم الأخير أم لا ، تلهفت على معرفة رأيه، قال بجدية :

- إنك اجتزت درجة الكمال .

لحظة صمت .

- أهنئك .

تمتمت شـاكراً ، نضب عـقلى ولو لم تكن فكرة التصـميم قـد أعجبـته فلينقلق .

فى الحقيقة المشروع صعب وقد أعطيته لك اختباراً لمقدرتك وقد وفقت، إلا أنى أريدك فى عملية متممة للمشروع .

- وقتى فى المكتب ملك لسيادتك ، وأنا طوع أمرك .

- أحتاج إليك فى غير هذا .

- لا مانع ، على ألا يكون فى مواعيد العمل الحكومية .

قلتها وأنا متأكد أنه يريدنى بخصوص العمل ولا شئ سواه .

- فى البداية ، أرجو أن تكون عند حسن ظنى .

طرقت الجملة حواسي جميعها ، فوصلت درجة انتباهي إلى حد الانفجار ، قال ضاحكاً :

- لماذا تفتح فمك هكذا ؟

ضحكت ، قال جاداً :

- هل قرأت مسابقة التصميمات الخاصة بهذا المشروع جيداً ؟

- نعم وأظن أننا قرأناها في صالة الرسم معاً ، وبناء عليه تمت التصميمات و ..

- في الحقيقة أنا رجل عملي ولا أريد مضيعة للوقت ، باختصار نحن باستطاعتنا الفوز في المسابقة .

هذا المشروع بالذات أعطيته كل ما جادت به ليست قريحتي فقط بل قريحة خبراء العمارة العالميين وتجاربهم ، وخبرة أساتذتي وإطلاعاتي واجتهاداتي .

- قطعاً يا فندم لابد أن نفوز ، إن المستحيل نفسه يتوارى خلف الجهد الواضح فيه وخلف الفكرة .

- رغم كل هذا يستطيع أي مهندس الحصول عليه ، رغم أنه لم يتعب نفسه حتى برسم اسكتش .

- كيف ؟

قلتها حادة سريعة ، مبتورة سائلة ، ناهرة ، متهمة ، ضحك ، لم يجب ، أشعل سيجارة :

- نحن فى استطاعتنا إذن الفوز بل أننا من المؤكد أننا سنفوز بتدعيم من هذا التصميم وإذا ..

- وإذا ماذا ؟

- إذا قدرنا كل شئ حق قدره ، والمسئولين تحت بند (كل شئ) الآن فهمت ماذا يريد ، كانت هذه أول مرة تحدث أمامى ليس فى هذا المكتب فقط بل فى كل حياتى .

- لكن ؟ .

- ليس هناك لكن .

- لماذا إذن لا تقدرهم سيادتك ؟

- من هنا أريدك .

- أنا لا أستطيع عمل شئ .

- إنك لن تعمل شيئاً ، كل ما هنالك أنك ستكون رفيقاً لشاب أنيق ستعرفك به الآنسة ، سيتم الاتفاق هنا فى المكتب .

ثم أشار إلى مكتبها واكمل :

- ستكون معكما والمصاريف معها

أنا لا أستطيع أن أقوم بهذا العمل .

- لم ؟

- أولاً لأنى لم أقم بمثل هذه الأشياء قبل الآن ، ثانياً : لأنى لست اجتماعياً ، ثالثاً : لا أعرف أماكن ذات مستوى تليق بشاب أنيق لنرتادها .

قفـزت إلى مخيلتى الكلمـة التى نطقها فـاروق زميلى ونظرة منعم له ، إذن لماذا لم يختر واحداًمنهما ليقوم بهذه المهمة ، ضحك قائلاً:

- لا عليك ، هى ستكون معك وستقوم بكل شئ .

- لماذا لا يكون فاروق أو منعم ؟

- اسـمع يا باشـمهندس ، هذا لـيس شأنك ، إنى أقـول لك عن عـمل خاص بك ولا دخل لك بغيرك .

ملامحه متغضنة ، خلع نظارته ، أشـعل لفافة ثم ترك المقعد وقام خارجاً ثم أغلق الباب بعنف .

مشكلتى بدأت عندما تخرجت مـن الكلية ، بدأت فى البحث عن عمل حر إلى آن يأتى أمر تكليفى كمهندس معمارى ، طرقت مكاتب المهندسين، قريـتى ليست نائيـة ، كل ما يرسل لى من نقـود وأطعـمة عبـارة عن مئونة أعيش بها على الكفاف ، لففت شوارع المدينة شـارعاً . شارعاً، حتى الأزقة لم تسلم من إقـلاقى لراحـتهـا . تحـدث لى كثـيـر من المهـازل وأبلعهـا فى صمت، مآزقى أيضاً لم يكن لها من حل ، أرى اللافتات ، أجمع كل قواى الخائرة صاعداً ثم سائلاً ثم آسفين تتبعها ابتسامة ساخرة مودعة ، فى الخارج سمعت صـوت المدير عالياً صارخاً مـفصلاً ، انتابتنى برودة خـوف متأصلة فى من أهل المديـنة ، نظرت إلى الورق الحـرير اللاصق بـجـدران المكتب ، خيل لى أنه يبتسم للمعته .

شارع موحش ، وجـوه جامدة بدون ملامح ، قابلتـه ، صديقى القديم ، حكيت له كل شئ ، وعدنى خيراً ثم طمأننى بأن الأعمال كثيرة ، فى شقتى

وجدت البواب مشمراً عن ساعديه ، دخلت ، لم ألق سلاماً ، لم ابتسم ، نظر إلى مستغرباً ، احترم صمتى وخرج فى هدوء ، كان وجهه أصفر ذابلاً مجعد ، ربما لم يأكل منذ أسبوع .

صديقى القديم رجل طيب ، فى وسط معارفه يعيش أولاً ، أما فى وسط أقاربه فهذه مرتبة ثانية . يعيش بينهم نظير ما يقدم من خدمات ، لا يحب الارتباط بأى عمل ، ينتقل من عمل إلى عمل كنحلة ، كذلك يعرف أنواعاً لا حصر لها من الناس ، عندما سألته عن عمل وعدنى خيراً ، ثم اشترط على شروطاً تقبلتها شاكراً .

قال أنه يود الحصول على هدية كل أول شهر ، شكرته ، قال أنه يحب القهوة فقلت أنى مدمن لها ،ليس هذا مهماً المهم أنى وجدت العمل.

دقتان على الباب من الخارج ثم دقتان أخريان وفتح الباب ، دخلت السكرتيرة ثم سألت آمرة عن المدير ، قلت لها يبدو أنه فى صالة الرسم، أقفلت الباب خلفها ومن الخارج سمعت تكة حذائها ، كنت ما أزال كالمنوم مغناطيسياً . كالأبله ، أجلس على الكرسى الذى أمرنى أن أجلس عليه المدير دون أن أتحرك ، اكتشفت أننى مازلت مرعوباً من الصدمة ، سمعت صوت المدير يتحدث فى صالة الرسم ، كان الحديث موجهاً إليها وكان بخصوص هذا الموضوع ، عرفت ذلك عندما قال لها : إن الأستاذ يعارض هذه الفكرة .

استقبلتنى والدتى بعطف وحنان لم يحدث قبل ذلك ، ربما لأنى أنهيت دراستى وأصبحت مسئولاً ، قالت لى ابن حلال طول عمرك ، كل الناس فى القرية يدعون لك ، فى طرقات القرية كانوا يقبلوننى مباركين ،

أحسست ببنوتى لهم ، قالوا إن والدتك تستأهل كل خير ، تستأهل عطفك وحنانك لأنها ، أنت تعلم الحال ، ماذا دهى هؤلاء الناس ؟

وجدت حسن يقف على رأسى المنكس ، واضعاً يدى تحت خدى ، كان الصمت كئيباً لا يقطعه إلا الابتسامات الخرافية اللامعة لورق اللصق الحريرى ، جاء بجوار أذنى قائلاً وحدوه ، أفقت ، أردف :

- لماذا تغضب المدير ؟

- أنا لم أغضبه .

- أنا أعرف ، وأعرف أيضاً أنك جديد فى العمل وإنا كاب لك أعرف ما يتنابك من قلق ومقدر ظروفك ، فى نفس الوقت لابد أن تراعى .

- يا أستاذ حسن هل تعرف ماذا أراد سيادته ؟

قلتها بانفعال غاضب فقال واضعاً يده على فمه بهمس :

- بهدوء ، بهدوء ، ثم قال :

- اعرفه جيداً .

- إذن لماذا تساعده على إجبارى بالقيام بمثل هذا العمل ؟

- إنى لا أقصد سوى مصلحتك الشخصية .

ثم تركنى وخرج قائلاً إن المدير يريدك بصالة الرسم .

المكتب لم يكن بعيداً ولم يكن مجهولاً ، كنت اعرفه جيداً لكثرة ترددى عليه للاستفسار ، جلسنا فى الصالة ، السكرتيرة تعرفنى جيداً ، لم تتبس كانت مهذبة ، مبتسمة ، سمراء قصيرة ، هذا رأيى قبل أن أعرفها، دخل

المهندس صاحب المكتب وهو مديره في نفس الوقت علينا من حجرته قصير متعجرف ، العجرفة تصحبها الكرش دائماً ، لكن هذا كان رفيعاً رشيقاً ، في البداية لم أعره اهتماماً ، بعد أن تعرفنا كانت شخصيته قوية ، ذكى ، دائر ، خليط من حوارى بولاق وزينهم والزمالك واستكهولم ، فى صالة الرسم وجدتهم ينتظروننى ، يجلس المدير على كرسى عال ، يضع وجهه بين يديه ، يخرج دخان السيجارة من فمه وأنفه وأذنيه ، السيجارة تتراقص ، تشتعل ، تتوهج ، عيناه تبرقان ، العرق يتصبب منه ، كان يجلس على كرسى ترابيزتى ، حسن ومنعم وفاروق يعملون فى صمت ، عندما دخلت إلى الصالة كل الرؤوس اتجهت ناحيتى ، من بعيد لمحت طيف ابتسامة تتبختر على شفتى فاروق ، بصوته الجهورى نادى المدير على السكرتيرة ، جاءت تكة حذائها ، أعطاها ولاعة رونسون ، دخلت المطبخ ، أحضرت أربعة فناجين قهوة . ولم تحضر الخامس ، كعبا حذائها كمطارق تهوى على عقلى الهش ، رن جرس التليفون ، خرجت السكرتيرة مسرعة لترد ، ثم دقت الجرس فى مكتب المدير ، قالوا :

- تفضل .

تمتمت شاكراً ، قالوها بتأفف ، أحسست كأننى منبوذ والدم يضغط على وجهى من الخجل .

قال منعم :

- لماذا لا تعمل لك قهوة ؟

- لا أحب القهوة .

قال فاروق :

- واللّه هذا برود .

قال حسن :

- يبدو أن قهوته لم تدرج فى الميزانية .

قال فاروق :

- لابد أنها متعنتة .

- ليس بينى وبينها شئ .

- حتى يكون .

هى كبيرة السن ، ليس بادياً عليها . صاحبة نكتة سريعة ، دائمة الضحك ، كان بإمكانها أن تعمل فنجاناً لى لكن لا أعرف سبباً لامتناعها ، عرفت أنها خُطبت لأكثر من شاب ولا تزيد مدة الخطوبة عن شهر ثم تفك. طويلة اللسان ، لا تتورع عن قذف والدتها بأقذع الألفاظ لذلك تحاشيتها . أمسكت بيدها مرة زمام المبادأة وفكت الخطوبة ولما سألوها عن السبب قالت بصراحة : إنه مخنث ، ثم دوت ضحكتها مجلجة وأعقبت :

- أريد رجلاً فحلاً .

دخل المدير وخلفه السكرتيرة ثانية ، رجع إلى الصالة هدوءها الواجم. قال المدير موجها كلامه إلى حسن :

- فى هذه الحالة سيخسر المكتب مبلغاً عظيماً .

وجدت السكرتيرة تنظر إلىّ بطرف عينها ، قال فاروق :

- إن شاء الله لن نخسر هذا المشروع .

قال المدير موجهاً كلامه لى :

- إنى عرضت عليك هذه المهمة فقط لأنك أنت الذى قمت بتصميمه وتعرف فى الحديث عنه الكثير .

قال منعم :

- التجربة علمتنا أن ينهى كل منا عمله على الوجه الأكمل .

قال حسن :

- الموضوع سهل وبسيط ولا يحب التهويل .

فى أول الشهر جاءنى الساعى سائلاً عن صحتى وشكرته ، قالها ثانية ثم ثالثة وهو يضحك ، فهمت ما يريد بعد ذلك كل أول شهر وقبل أن يسأل عن حالى يأخذ ما فيه النصيب فيبتعد ، لم أتكلم قط ، كنت أسمع ، من الجانب الآخر رد فاروق قائلاً :

- لو لم يكن عندى مهمة أخرى كنت قد قمت بهذه العملية .

- شكراً يا باشمهندس ، إنى مقدر خدماتك جيداً .

قال المدير هذا الكلام ، ثم جاء إلى ترابيزة الرسم وشكرنى على إخلاصى فازددت عملاً ، بعد أن خرج جاءنى فاروق ناظراً إلى الرسم متمتماً :

- ما هذا الجمال ؟

ابتسمت ، فقال :

- زوجتى تنتظرنى بالشارع .

- وبعد .

- هناك بعض التشطيبات فى هذه اللوحة والمدير يريدها الليلة .

- لا مانع .

كانت السكرتيرة تقف صامتة ، تستمع فى هدوء عجيب لم أتعوده منها، قال المدير موجهاً كلامه لى إنه شاب فى مثل سنك تقدر على فهمه.

- المشكلة ليست هل هو فى مثل سنى أو أصغر أوأكبر ، المشكلة إنى أشعر بأنى سأفشل .

قال حسن :

- لن تفشل ، إنك فقط تشعر بذلك . ثم إن الموضوع عادى جداً ومادمت معها فلن تفشل .

وجدتها تبتسم ،كأنها ملكة تشير إليها رعيتها بالإعجاب ، جاءنى حسن الخطاط :

- كل أول شهر وأنت طيب .

تذكرت أننى لم أدعُه إلى الأكلة المعهودة كل أول شهر ، قضينا ليلتنا على خير ، وأتمها أبو على بدعوة إلى منزله ، ذهبت إليه ، منزله ملكُه ، فخم .

عرفنى بأسرته ، زوجة جميلة وابنه أجمل ، تركنى معهما وذهب .

قالت السكرتيرة وكأن النشوة أسكرتها ، ففضفضت فرحة :

- هناك عريس صعيدى قح .

قلت لنفسى :

- خير من لا شئ .

قال حسن :

- صعيدى ، صعيدى ، أحسن من لا شئ .

ضحكت :

- لكنه يسألنى ويلح عن اسم أى واحد أكلمه ، أو أنظر إليه ، يريدنى أن أترك العمل .

قال حسن :

- فحل ولا .. لا

قالت له :

- هذه قلة أدب .

نظر المدير ناحيتها ، ضاحكاً ، مشجعاً ، مقهقهاً ، فوعدته بالويل والثبور. كُتب كتابها فقط ، منذ ذلك اليوم وفنجان القهوة يجيئنى .

قال منعم :

- اعتقد أن القاهرة مليئة بأماكن لا تحصى من الملاهى والنوادى .

قال فاروق :

- هناك ملهى فتح جديداً عندما رأيته صعقت ، ضحكت السكرتيرة قائلة : كانت ليلة .

ابتسم فاروق وقال منعم : أين ؟

فى صباح جمعة دق جرس الباب .

دخل البواب إلى الشقة ، أخذ فى تنظيفهـا مبدياً أسفه ، ثم نزل وأحضر لى فطوراً ، ثم تركنى وذهب بعد أن أخذ مبلغاً .

فى الصباح عندما اذهب إلى عملى الحكومى اذهب مهموماً ، كسولاً ، متعبـاً ، فى بعض الأيام يكون هناك أعمال وفى أغلبها لا توجـد ، إتهمونى بأننى اضع النقود فى الخزينة ، لأن منظرى سوقى ، قبل أن يستدعينى المدير إلى مكتبه اتصلت بصديقى القديم راجياً أن يبحث لى عن عمل آخر ، عرف أننى من زبائنه الدائمين ، أنقذنى ، وجدت عملاً ثالثاً بدون مشقة ، لا توجد مواعيد لانتهاء العمل فى هذا المكتب ، قال لى منعم بأدب جم بعد أن أخذنى إلى جانب :

- ممكن أطلب منك خدمة .

- تحت أمرك .

- ابنى مريض ، أريد منك جنيهات قليلة لأول الشهر .

ترك المدير صالة الرسم وهو يكـاد يختنق من كثرة الضـحك ، لا أعرف لماذا يضـحك ، ولكنى فقط وجدته يخرج ومن خلفـه السكرتيرة ضاحكة منتشية ، كنت منكساً رأسى إلى الأرض ، أدخن لفافة ، وكـان الجميع يمسحون أفواههم من بقايا ضحكات .

أذهب أنا وحسن لتناول أكلتنا المعهودة كل أول شهر بعـد ذلك عرفت أنه يريد أن يزوجنى ابنته ، قال حسن :

الموضوع لا يحتمل هذا التعقيد .

قلت : إنها مسألة حياة أو موت .

صديقي القديم يصافحني كل أول شهر مرتين ، قالت والدتي عندما كنت أزورها :

- إن البلدة تحكى عن أصلك الكريم .

قلت غاضباً لا أريد أن أسمع شيئاً عن أصلي ولا عن البلدة ،

فبكت ، صحوت من النوم ، برودة الشارع موحشة ، مقفرة ، ليست منعشة رغم أنها باردة ، ركبتني الهموم أكثر عندما جاءت السكرتيرة إلى صالة الرسم ، سألتها عن المدير فقالت إنه مشغول ، قلت لها عندما ينهى أعماله أخبريني ، قالت حاضر ، بعد مدة أشارت بطرف عينها أنه غير مشغول ثم ضحكت ، نظر الزملاء إلى ضاحكين ، خرجت من مكتبه أجرجر في ساقى داباً على الأرض باحثاً عن عمل جديد ، وكان الشارع مقفراً وكنت واجماً ، وكانت أمي تدعو لي ، رغم أن أحداً منهم لم يتصل بي .

سبتمبر ١٩٦٨

مجلة أكتوبر يوليو ١٩٨٦

زمن الأيام الباردة

فى نفسه لحقله تكمن شلالات فياضة من حب طفولى ، يأتى من الحقل جوعان ، هزيلاً ، يجر ساقيه ، منهوكاً ، شاحباً ، عندما يأتى ولا يجد الطبق هذا ، يحس أنه ينقصه شئ ما ، يده مثلاً ، أو عيناه ، مكتوم نفسه ومختنق ، طبق محشى كرنب ، ساخن أم بارد فليس مهما ، المهم أنه جوعان والمهم أنه محشى والمهم أيضاً أنه من حقلهم ، ورغم أنه يعيش معه ويأكله يومياً تقريباً إلا أنه يفضله عن اللحم الذى لا يأكله إلا كل عيد أو موسم من المواسم الدينية .

كانت المدرسة بعيدة غرب القرية ، ولم يكن الحقل أقرب إلى منزله من المدرسة ، يربض فى سكون قدرى وسط أقرانه ، يخرج من المدرسة ليذهب إليه ، ينتظره دائماً ليل نهار ، لا يقدر على شئ سوى ذلك ، ينضج على حراسته له ، أحبه حباً قوياً صادقاً صريحاً نابعاً من القلب، أصبح جزءاً منه لا يستغنى عنه ، يتلذذ بمرافقته وحراسته ، زرع أبوه فى قلبه هذا الحب ، حقيبته مصنوعة من القماش الدمور ، يحمل فيها كتبه مكدسة بجوار غذائه

جنباً إلى جنب ، دسته له والدته خصيصاً خوفاً من أخوته الصغار . يجلس عند شط الترعة ، تحت شجرتهم وارفة الظلال ، منذ وعى وهى كذلك . يضع الحقيبة تحتها ، يتوجه إلى زرع الحقل ، دائماً ما يكون الفصل شتاءً ، لا يزرعون سواه منذ وعى ، يلف الحقل معه ، يستأنس به ، يغنى له ، يضع يده على كل ثمرة ، يتحسسها برفق كما تتحسس والدته جسده فى منتصف الليل على ضوء مصباح الجاز ، يضع يديه بين الأوراق ، يعد طبقات الورق النضرة ، لا يجد الندى قد تطاير بعد ، من كثرة مداومته يعرف كل ثمرة كرنب ، وكل عود من العليق والسعد والرجلة وأنواع الحشائش الأخرى ، لا يدرى لماذا يزرعون الكرنب كل عام ، خمسة أفدنة قطعة واحدة ، فى حيرة دائمة، دائم السؤال عن السبب دون جدوى ، كانت ردودهم غير مقنعة ولذلك كان دائم الالحاح .

الحقيبة محمولة على كتفه الشمال ، حذاؤه مفتوح من الأمام ومن الخلف ، الشوارع مملوءة بالطين والماء ، الجدران متداعية مشرخة ، مقفرة من الحطب ومن التبن ومن الجلة ومن الدريس ، يتنطط بجوار حوائط الحارة تفادياً للطين وخوفاً من الانزلاق ، حتى لا يترتب عليه مصائب لا تحمد عقباها ، المدرسة حولها بركة كبيرة من الماء ، جدرانها مملحة ، مشققة، شجرة التوت تتساقط أوراقها الخضر ، ساكتة سكون ليالى القرية الشتائية ، بياض الحوائط متساقط ومتناثر ، أسقف الفصول من الخشب القديم ، أقل حركة عليه تجعله يتكتك ، الشتاء فصل بارد منعش ، نشيط ؟

يمشى بعد انتهاء الدراسة على خط رفيع أخضر على شط الترعة ، يطمئن على الحقل بعد لف مجهد ودوران أشد اجهاداً ، يجلس تحت

الشجرة، يتناول الغـذاء ، يمسك واجب المدرسة المقدس يعمله بهـمة وعزم، لا ينسى أثناء ذلك أن يقوم بدورة لف أخرى .

فى فسحـة المدرسة دائم الانزواء ، الأطفال يجرون ، يلعبـون ، يطبشون فى المياه الكثيرة فى الحوش ، وهو جالس ، قال له المدرس :

- لماذا لاتلعب مع الأطفال ؟

- أبى مريض .

- هل أبوك دائماً مريض ؟

- أبى لا يقدر على شراء ملابس أو حذاء لى .

ترك المدرس وأخذ يصفر ويتنطط مـثل الأراجوز ، الأطفال دائماً يلهون فى المدرسة ، فى الفـصل ، فى الحوش ، فى الخـارج ، ليسوا غـريبين عليه ، يعرفهم لأنهم جيران ، ابن العمدة ، شيخ الخفر ، هذا ، وهذا ، هم يتأففون، لا يعيرونه أى اهتمـام ، وإن أعاره أحد فاما بقطعة طين على قـفاه أو بقطعة من الطباشير فى رأسه ، أو بدلق المحبـرة على كراريسه وملابسه لذلك كان دائم الانطواء والتفوق .

القرية صـامتة ، قسـوة الظلام تضغط بعنف على كل جزء من أجـزائها، النخيل يتمـاوج ، الريح تصفـر ، تتنطط فـوق الأسطح ، على باب منزلهم وقف رجلان ثم طرقا الباب بعنف ، لم تكن العـشاء قد أذنت بعد، لم تنبح كلاب ، لا يوجد إنسان فى الأزقـة والشوارع ، لا يوجد إلا البرك والطين ، وطرق مهـيأة للفظ كل من يتجـرأ ويضع حذاءه عليهـا ، فى الداخل كانت تنبعث اضاءة خافتة لمصباح جاز لم تمسح زجاجته منذ وضعت عليه.

إضاءة مختنقة لونها أحمر تشوبه صفرة خفيفة من أعلى ، شريط المصباح يظهر محروقاً ، الأطفال مكدسون ، والحجرة حرها لا يطاق ، ورائحة بول وروث عجل صغير تنبعث منها ، قال لزوجته :

- الآن ؟ اللهم اجعله خيراً .

- يا مزيل المصائب يا رب ، من يكون الآن ؟

حملت الزوجة المصباح وتقدمته ، أصاب الحجرة موت أبدى ، الطريق إلى الباب الخارجي مفروش بالقش والتبن ، وبجوار حائط الحجرة قطع من الطين حملتها الزوجة بالفأس ، فتح الباب ، رآهما ، عرفهما ، فى صمت مشى خلفهما.

فى حالة يرثى لها دخل الرجل ، شاحباً ، ذقنه نابتة ، فى لون المصباح، وجهه كقش الأرز ، فى ركن الحجرة جلس ، انتفضت زوجته ، جلست بجواره مهمومة ، ازداد همهما ، رائحة الحجرة لا تطاق ، نظر لوالدته وأبيه، أمه حلوة جميلة ، لايقدر أن يصارحها بذلك ، جارهم من هذا الجانب وجارهم من الجانب الآخر كثيراً ما يغمزان لوالدته ويبرمان شاربهما وهى تحتقرهما ، حتى أنها من شموخها لا تأبه بهما ولا تنظر إليهما .

- ماذا يريدون ؟

- يتهمونني بالإهمال .

- ماذا قالوا ؟

- قالوا إن الأرض مملوءة بالحشائش وأن الزرع لن يسدد الإيجار .

- ما ذا يريدون ؟

- يأمروننى بالتنازل .

خبطت على صدرها ، شاهقة ، عيناها خرجتا من محجريهما فمها مفتوحاً ، تولول ، ليس هذا معقولاً ، تعرف جيداً أنهم لا يتنازلون بسهولة عن ما فى رؤوسهم . إن وسائلهم كثيرة ، وضعت يدها على صدغها ، مائلة ، تنسال الدموع مستسلمة لا تتفوه ، من تحت الغطاء المصنوع من خيش جلال البهائم تبرق عيناه ، يريد أن يسأل ، أن يعرف، أن يتكلم ، أن يبكى . أن يشاركهم ما هم فيه ، لكنه خائف ، يرتجف ، تصطك أسنانه ، يفرك يديه ، يتقلب يمنة ويسرة ، ينفرد . ينكمش . كان يريد أن يقول شيئاً ولكنه لا يعرف ، شخير أخوته يقطع تفكيره ، يمزقه ، نظر إلى الركن وجد الأطباق الفارغة والحلة ليس عليها غطاؤها وازدرد ريقه ، نظر لوالده ، لوالدته .

يجب أن أكون رجلاً فعلاً كما قال لى أبى ، ترك المدرسة ، لم تعترض والدته ، جلس منقطعاً لحراسة الحقل ونظافته ، لم تكن هناك مدة كافية لاختبار رجولته ، ذات يوم رأى بعض الرجال الأقوياء منهمكين فى تقطيع ثمار الكرنب دون استئذان منه ، لم يفهم لذلك معنى، جلس يبكى ، قال لماذا لا يثقون بى ؟

بكاؤه مر ، عنيد ، قرر أن يهرب ويترك الجميع ، ذهب لواحد منهم :

- هل أمى هى التى أرسلتكم لتقطعوا الكرنب ؟

لكمه بيده وهو مطأطئ :

- يلعن أبو أمك .

ضربته لم تكن قوية ، أثرت فيه تأثيراً شديداً ، رجع أدراجه إلى المنزل :

- لماذا لا أعلم بأنك ستقطعين الكرنب اليوم ؟

خبطت على صدرها ذاهلة :

- أنا يا حبيبى لم أقطع الكرنب .

أخذت تهرول صارخة باكية وهو خلفها إلى أن وصلوا إلى الحقل ، وجدا جزءاً كبيراً من ثماره مقطعة ، وأن لا فائدة ترجى من الحيلولة بين الرجال ، وبين تقطيع الثمار الباقية ، عرض على والدته الذهاب إلى العمدة متهماً هؤلاء باللصوصية ، رفضت ، عرض على والدته الذهاب إلى مأمور المركز رفضت ، كل يعرض عليها الذهاب إليه ترفض ، عرف أنهم جميعاً لا يحبونه ، لم يقل لوالدته بعد ذلك استعيذى بالله .

ذهب إلى المنزل جوعاناً ، يحمل ساقيه على ذراعيه . لم يجد فى انتظاره شيئاً يقيم أوده ، بكى ، تأكد بعد ذلك أن الأرض لن تزرع كرنباً، استسلم لهذا المصير ، اختفى طبقه المفضل نهائياً .

لم يكن القصر بعيداً عن الحقل ، تمشى والدته ، يمشى بجوارها ، يده فى يدها ، تفكيرهما مختلف ، حول القصر حديقة واسعة ، حول الحديقة سور، تحتوى على عدة أصناف من الزهور ، وكل نوع يحده سور ، يقف الغفير بجوار كلب أسمر عال ، تبرق عيناه ، يزوم ويزمجر ، ضحك جيداً استلقى على ظهره ، سحبها من يدها ، بضة دافئة . ساخنة ، أعجبته فأخذ فى دغدغتها ، دخل خلف والدته قال له البواب :

- انتظر أنت هنا .

من بعيد رأى ثوب والدته ممزقاً ، شعرها مـهدل ، صفراء ، يمشى خلفها البواب تبرق عيناه ، يبتسم بوقاحة ، يحك جسده ويرفع سرواله إلى أعلى ، وضعت يـدها فى يده الصغـيرة ومشت منكـسة رأسهـا فى بطء، نظرت له كان مـنكساً رأسـه ، يمشى فى صمت ، امـتصت الأرض الطينـية ضـوضاء حـذائه ، نظر لها ، نـظر لجلبابهـا ، نظر لشـعرهـا المنكوش ، وجد الدمـوع تتسال من عينى والدته ، فسالت دموعه .

المطر يتساقط ، أنفـار يمشطون الترعة ، وأنفار يعزقون ، وأنفـار يقذفون الطين خارجها .

ميـاه باردة كميـاه القصر فى الصـيف ، الرجال يرتجـفون ، أبوه تصطك أسنانه خارج الترعة ، ملفوف بجلباب وخيش ، والأنفار يعملون.

دق جرس المدرسة فـخرج الأطفال مهللين ، يقف ملطوعـاً لجدار قديم ينظر إلى الأطـفـال ، يتنططون ويجـرون ، يغنون يـا مطره رخى .. رخى .. جرى بـجوارهم يهلل مـثلهم ، بعدوا عنه وضـحكوا ، ثم ملأوا قـبضـاتهم بالطين وأخذوا فى قذفـه ، جرى ، جروا خلفه . إلى أن دخل المنزل مـبهدلاً ممزقاً ، فأخذ فى نوبات بكائية تشنجية إلى أن أحمرت عيناه ونام .

قالت له والدته :

- غدا تذهب إلى المدرسة .

رآها هذا اليـوم جـميلة أكـثـر من أى يوم مضى ، ضـحكاتهـا صـافيـة ملعلعة، رأى والده أيضاً فى صحة جيدة .

- إنى تركت المدرسة .

- الناظر الجديد بعث يطلبك .

في الصباح وجد هناك حذاءً جديداً ، وجلباباً جديداً أيضاً ، من أين هذا يا أمي ؟ ولم ينتظر الإجابة ، أخذ يلبس ويضحك في انسجام تام ، وحمل الحقيبة ولم يحمل الغذاء ، عندما قذفه ابن العمدة بالطين مسكه وغرز رأسه في الطين لاعناً أباه ولم يضربه الناظر .

- خذ غذاءك واذهب إلى الحقل .

تساءل في دهشة :

- أي حقل يا أمي ؟

قالت :

- الحقل القديم .

كان هناك أناس كثيرون ، وكان هناك جرار يحرث الأرض ، وكان أبوه يلتقط الحشائش الذابلة واضعاً إياها في المقطف ، وضع الحقيبة تحت الشجرة ، ذهب إلى أبيه ، حمل عنه المقطف ، رأى رجلاً يلبس كسوة أفرنجي يداعب والده :

- هل هذا ابنك ؟

- نعم .

- خذ هذه له .

أعطاه طائرة صغيرة ، تجري وتعمل صوتاً ، فانبهر لها وانبهر للأفندي . قال لوالده ، من هذا ؟ ضحك والده .

قال لسائق الجرار بعد هذا الحقل ، الحقل الذى بجواره وهكذا ، ابتسم الأب واخذ يلتقط الحشائش بفرحة طفولية غامرة ، قال لوالده :

- ماذا سنزرع يا أبى ؟

قال الأب :

- ذرة صيفى .

لم يسأل والده شيئاً غير ذلك ، ولا يدرى بالضبط لماذا تهفه نفسه على أكل المحشى ؟

روزاليوسف ٢٧ سبتمبر ١٩٨٧

إلحاح الجسد المنهك

املتنى اللعبة فأفضت فى وصف اللا جدوى منه ، وتشبثت بأوهام شطحات التاريخ ، نظرت إلى داخل تجويفى العظمى فوجدت أن نخاعى أيضاً أحس بما كان سيعترينى ، فأمسك زمام المبادأة وأخذ على عاتقه بأن يلقى فى وجهى رغبته فى الملل .

أمشى تتدفق على رأسى أتربة نفاضة حصير القرون الوسطى ، دمامل الأرض ومستنقعاتها الأسنة ذات الرائحة العفنة وأكوام قمامتها وذبابها المتمرس المرن الولود السادد لمنافذ الشمس تنزع منى ما تبقى من أبخرة مائية فى عظامى الهشة ، انظر بعينين تجحظان من محجريهما فى بلاهة إلى كائنات الغابات البدائية التى ترتع حولى ، أقف مذهولاً فاقداً للذة أن أكون المكتشف لغياهب سراديب العصور التى لم تمر ، أرتعش لأنهى وضعاً مفروضاً على ، لأشارك بقدر ما تمكنى به الأبخرة ، محاولاً الوصول إلى تلك اللحظة اللا متناهية الدقة المسماة بلحظة تكثيف الوعى ، لاستنشق والحرك .

اختـلاجة يأس تحـاول أن تقوض بـقية بـاقية مـن مقاومـتى لجحـافل التتر المتشرين فى مـسام هواء استنشقه ، قـدماى تغوصان فى بركة كبـيرة طينها صمغ أفريقى متـشرب بحرارة شمس خط الاستواء ، أجـتهد فى رفع ساق على حسـاب الأخرى ، وبين محاولة الخـلاص والاستعداد لخـلاص جديد أهوم بذاكرتى مـحاولاً البحث عن المنقذ فى صورة توارد أسـباب ، فليس لكل تلك الأسـباب أغوص ، شك فـيه مسـحة من يقين ملمـوس صادق ، ترتعش شفة فتاتى دائماً لرؤيتى .

ذقنى حليقـة ووجهى ينم عن رضاء لا حـدود له ، جسد يضج بالرغـبة والحـيوية فى كـفاح دائم لإثبـات الذات ، ولو لـم يكن فيـه هذا الشـبـاب المتفجر، فهل كنت أقدر على مزاولة لعبة البطل المشهورة طيلة تلك العقود؟ وفى مكتبى يتدافع الزملاء والزميلات على لطرقه ، تأتى أى منهن - لا تأبه بمن كرست حياتها من أجله - لمكتبى لتنال ما يرد فيها البعث ، والآخر يأتى ليسألنى المعونة ، وأنا كما يقـولون أعيش هناك فى تلك الدوامات المتعالية ، تنطح هامتى السحب ، إن لم تغير اتجاهها ساعة أن تعلم أننى هنا .

بابى موصد فلماذا الطرق ؟ قذفت بكل ما أوتيت من قوة بكل رواسب العـصور الغـابرة التى نفـخت فـيكم تراثهـا ، فلمـاذا الإصـرار على وهن عزيمتى؟ تيارات قويـة أعطوها الاهتمام فانجرفوا ، هذا قانـون فى اعتقادهم لا هم لهم إلا تنفيذه .

قابـلت العاصـفة برأسى وسـددت على التيـار مجـاريه ، جذور سـاقى تمدنى بعصارة الخلود ، فهل لهذا يا رفاق الرحـلة المفروضة علينا انتفضتم ؟ وليكن ، ذات اليـوم الذى تحس فيـه أجيـالكم بأنكم خطاءون سـتـذكرون بأنكم ظلمتم حقى فى الاختيار .

ومن أجل احترامه لاختيارى تلاقت الأفكار ، وأصبحنا كالصديقين ، يلح فى استشارتى فى وقت تشتد فيه حلكة الليل ، والإلحاح أيضاً متبادل ، ولو تلاقت الأفكار قبل ذلك مع زملاء المكتب لما ترددت ، ولأضفت لهم صديقى الذى لم أختره إلا بعد أن تغاضيت عن الطرق المجوف - أين أنت الآن يا صديقى ؟ هل عندك الآن فكرة عما أعانيه ؟ آت إليك آت ، هأنذا أرفع ساقى لأنهى الرحلة المتعبة لأصل إليك فى مأواك ، فى حاجة أنا إليك، أمد إليك يدى لتقذف فيها ما يمدنى على مقاومة النكوص ، لأروى متطلبات الجسد المنهك ، لأقاوم الصمغ الذى يزداد قوة عندما يحس بأننى على وشك أن أفقد مخزون مقاومتى ، لأنى أحب ثانية أن أحقق ذاتى فى مقاومتى لبرك الطين ، لأغوص وأقاوم ، فأنا عرفت وأحسست بالمذاق ، خير من يأتى أحد الآخرين ليستسلم .

السرعة كانت البداية ، فخلفها كنت أمشى ، كنت منذ مدة قررت أن أحاول قدر طاقتى كبح جماع رغبتى ، وخوفاً من أن يفلت منى زمام القيادة حاولت التغاضى، لكننى كنت أكذب ، قبل أن أحمل جسدى وأنقله إلى الرصيف الذى تمشى عليه ، كنت قد رأيتها من بعيد ، مشاعر كثيرة وأحاسيس أكثر تغلف كل المرئيات التى تتناثر أمام ناظرى ، لم أنظر إلى المرآة ، قررت أن أرى وجهى فنظرت إلى الأرض ، انعكست عليها صورة وجهى ، وأسفلت الشارع أسود ، وجهى أصفر ذابل فليست هناك من مدة المقدرة على جلب عصارة الحياة .

رأيتها ، ليس هذا صحيحاً ، مجازاً ، أنثى ، أية أنثى ، رأيتها تمشى مع اتجاه السيارات ، لم يكن هناك وقت لأحلل ، قدماها سريعتان ، نهدها

الناقر جذب نظرى بقسوة ، يبرز عن ذراعها الذى أراه ناحيتى بروزاً واضحاً ، جعلنى انقلب حرقة فى البحث عن منابع تدفقات النيل الحانية دائماً لأرتشف .

يا هذا الكون الأزلى إنى مقدر الآن تماماً سر خلودك ،انتفضى يا رعشة الأيام الخوالى فى جوانحى ، فهأنذا مستعد لأهيم شوقاً وسعادة لأرفرف ، لأبذر بذور التجديد فى جوف الأرض المتشققة العطشى الشرهة لبذورى .

يصطفق كعباً حذائها الأسود فى بلاط الرصيف ، تترك إيقاعاً لحفيفها ، موسيقى فى أذنى ، لى خاصة ، ولو انقطع هذا الإيقاع حقيقة، لن تنسى أبداً أذناى نغمة متفردة لها إيقاعها المعين المرتبط بلحظة رغبة الخلق .

لون وردى لكعبى قدميها الصغيرتين الدافئتين حاملتين ساقين أملدين متناسقتين فيهما طراوة وسخونة ، تنضح منهما أنوثة فوارة ، ينتشر فيهما حبوب صغيرة دقيقة ، تحمل رأساً لدبوس ، موزعة بتناسق على هذا الجسد المتفجر ، لحظة الرغبة دائماً ما تسلل الأيدى لتتملس وتحتضن هذه الحبوب، تقف الأيدى أيضاً على إحداها لتتفحص رأسها بظفر أية أصبع ربما لكشطها .

جونلة صفراء ، خصرها رفيع ، يضفى أنوثة على حزام بلون الجونلة يلتف حوله ، بلوزة بنى وشنطة بيضاء ، وشعر أصفر مسترسل سائح براق تحت لمعة شمس لاسعة .

أحسست بشكة خفيفة فى جانبى الأيسر ، أعرف أنا سببها ، لكنى لم آبه، مغناطيسية الأنوثة أنستنى أن هناك شيئاً ما يتعلق بجسدى ، تزداد الوخزات فأحمل يدى اليسرى واضعاً إياها على موضع الألم .

فى حملى ليدى أفلتت منى نظرة سريعة لظهرها ، نقط حمراء صغيرة تنتشر فيها آلياً ، نظرت ليدى الثانية كانت كالأخرى ، أربط هذا بمأواى فأحس بأننى كالطود ، حجرتى فى سطوح أحد المنازل العالية ، آتى من الخارج فأرى الأبراص متراصة على الباب تنظر بعيون لولبية ، ومن كثرة الاهتمام بسحقها تغاضيت عن اختراقها للباب والنوافذ واتخاذها لمكتبى وملابسى مرتعاً آمناً ، آتى من الخارج نشطاً ، أنظف الكتب والسرير من الأتربة والبراغيث والبق لأجدها ليلاً تزداد بصورة عنيفة ملتفة حولى داعية للآلاف على وليمة شهية كريمة ، تحس ملابسى بما ينتابنى فأجدها آلياً مخلوعة ، أبحث عن الحشرات فى ثناياها وأتركها حمراء ، لمدة طويلة ولم يفرض الملل شروطه بعد ، ذهبت إلى إحدى الصيدليات ، قررت شراء زجاجة من مبيد ، اكتشفت إنى متحمس وأن حماسى سرعان ما فتر تحت تلك التأثيرات التى ليس لى دخل فيها ، والتى تجعل الوخزات الآن تزداد فى جانبى الأيسر ، فأهصر قوة احتياطية لتدفعنى لألحق ثم أحاذى لأنظر عن قرب .

جوعان ، عطشان ، نهم ، انظر وابتلع واتشدق وأقرض على نواجزى فيأتنى صوتها فى انتظام آلى محكم .

أمشى الآن بجوارها ، بى رغبة ملحة فى تنفس عطرها ، وفى دفن وجهى فى هذا الشعر الأصفر المنسدل الأثيث ، فى الالتصاق بها ، فى احتضانها وتطويقها ، فى الذوبان فيها ، فى مزج عرقها بعرقى ، فى تلمس نهديها السخين ، أحس أننى قريب منها ، أقترب بجوارها أكثر ، تضغط على قدميها لتسبقنى ، أضغط على نفسى لأجاورها ، لا أريد منك الآن

سوى أن ترضى بإعطائك لى يدك ، أود أن ألمس منك شيئاً ، أود أن ألمس حتى بلوزتك ، أن أضع يدى عليها ، هذا يكفينى .

تأجج أنثوى أصابنى بالبله ، فقدت كل مفردات لغتى ، نسيت حتى أن هناك لغة ، لغتى تئن فى داخلى الآن ، أحكمت رتاجها فسدت كل منافذ تكوينى ، أصبحت هى الآمرة والناهية والمستقبلة والرافضة ، رضيت حتى بالمشى بجوارها لكنها كانت سريعة .

فلتسرعى ، فأنت خلقت لعصرى ، وأنا من هذا العصر ، ليست مطاردة، مشيتها سريعة جادة ، أمشى بجوارها ، أتأمل هذين النهدين النافرين فى تحد ، المنبثقين فى ثورة ، فى ثقة ، فى قوة ، نهد قاعدته ثريه جيداً فتجعله يقف فى انتصاب ، وأنظر فى ود شديد وحنان أشد مربوطاً بهذا الخيط اللا مرئى ، وللتدقيق أكثر ، وبرغبة شديدة إلى الحنان والأبوة والحياة تأكدت أنها لا ترتدى السوتيان ، وأن حلمتى نهديها تحملان بلوزتها بوضوح ظاهر ، يجعل الناظر لهما يقدر كم يكون حجم تلك الحلمتين اللتين كادتا أن تفتكا بالبلوزة ، متحديتين لخيوطها الدقيقة حتى جعلتها مخلخلة وخيوطها فى هذين المكانين بالذات واسعة ، تتبلج منها نقطتان لرأسى الحلمتين واضحتين ، ظاهرتين .

شمس عنيدة تخبط فى مؤخرة رأسى ، أتحسس شعرى المجعد ، تتصاعد منه أبخرة لاسعة ، الشعر كاد يحترق ، فى الصباح لم تكن الشمس كذلك، حنوناً منعشة ، تحيط جيرانى وتحتويهم بهدوئها ، أتنفس هواء نقياً جديداً ، أضع يدى على بطنى ، فلتتألم ، بحثت فى أركان حجرتى عن قطعة خبز قديمة لكنى لم أجد ، سأذهب إلى العمل كالعادة منبوذاً ، قرفاناً، دائخاً .

عربات كثيرة مختلفة تمرق من جوارنا ، جسدى يأكلنى ، العرق يتصبب بداخله ، أريد أن أدعكه ، رائحة عرق متميزة تسيطر على محيط تنفسى ، الوخزات تحولت إلى قرصات على فترات منتظمة ، ودائماً ما يسيطر على تفكيرى هذا الشئ الذى طالما أقض مضجعى ، ففى الصباح وعندما ذهبت إلى العمل ذهبت مطارداً وتحت تأثير الخوف من الشوارع ، ترابيزة الرسم التى أعمل عليها نظرت إلى مشدوهة ، لا عليك يا رفيقة رحلة الملل فلابد من كسر القواعد ، مسحتها بفوطة صفراء مبقعة بنقط حبر شينى أسود ، تصاعدت الأتربة المتراكمة ، نظر إلى الجميع بدهشة ، توقعوا أنى سأعمل ، وتنتابنى رغبة شديدة فى الاختلاف ، فرغم أنى قررت أن أعمل فى هذا اليوم بالذات هروباً ونسياناً ومضيعة للوقت إلا أن رغبتى فى الاختلاف جعلتنى أقرر الا أعمل وعندى كفايتى من الأسباب .

قررت أن آخذ كوباً من الماء المثلج ، رغم أنى أعلم مقدماً أن المياه عندما تنزل إلى مصارينى ستربكها ، لكن ليس من بد .

دائماً ما أشرب هذا الماء فى الحر ، لكن اليوم كانت المياه باردة بدرجة ملموسة ، ولم يكن لبطنى هذا الانتفاخ البسيط الذى طالما يحدث كل صباح بعد أن أشبع رغبات جسدى .

احسست أن القرصات تعربد فى بطنى ، تحسستها فزادت القرصات ، وعندما خرجت من العمل دون أن احكى عن هذا الشئ الذى يؤلمنى لم يسألنى أحد ، فارتحت جداً لتلك النتيجة ، وهاهى الأيام تثبت لى أنى لم أكن مخطئاً ، وأننى عندما قررت ألا أتعامل معهم كنت قد تخطيت أوهام الاحتفاظ بحسن المعاملة ، لسبب ما طأطأت ، ربما لتمسح حذاءها من

الأتربة الكثيـرة التى تعلقت به ، ربما لتـركن قطعـة من الخـبـز إلى جـوار الرصيف ، لكن لمحت قطعة قـماش صغيرة مثلثة تلـتصق بمؤخرتها ، رأس المثلث إلى أسفـل بين الفخذين وقـاعدته إلى أعلى ، لونه وردى ، وجـدتها من تحت إبطهـا وهى مطأطئة تنظر إلىّ خلسـة ، تسمرت مكانى ، وضعت يدى بين شعـرها الأصفر ، ورفـعت بيدى الأخرى ذقـنها وجذبتـها بحنان فوقفت على فترات .

قـربت جـسـدها إلىّ فـانصـاعت ، وضـعت يـدى على ظهـرها ويدى الأخرى على عنقـها فوجدتها تمتص شـفتى ، ملست بيدى اليـسرى نهدها الأيمن فـملست بيـدها اليـسرى يـدى التى على نهـدها ، فجـذبتنى إلـيهـا ووضعت وجـهى بين يديها ، لهـا رائحة أنثـوية مغناطيـسـية ، شـعرها على الوسـادة متـهدل ، والعـرق يتصـبب منى ، صحـوت على عطسة خـرجت مكتومـة منها ،فى البداية هى تـغاضت عنها ثم مـا لبثت أن تركت لنفسـها عنان جـامح فى قـذف هذا الشئ الذى يجـعلهـا تبـدو فى صـورة منفـرة ، فعطست ، تحت تـأثيرات فسيولوجيـة أنستنى لفتـرة الشئ الذى دأب على قض مضجعى ، قلت لها رحـمكم الله ، وببراءة طفولية شديدة نظرت إلى بعينين بنيتين ضاحكة .

بطرف عـينى أبرقت إليهـا بنظرة جـانبيـة ، وجدتهـا تنظر إلىّ ، وجهـاً حليب، تشـوبه تلك الحـمـرة الطفوليـة الوردية البـريئـة ، وأنفـها رومـانى وشفـتاهـا مملؤتان مضـمومـتان إلا عن انفـراجة تغـرى كل من ينظر إليـها بلثمها، فقط بلثمها ، الخدر ينبـعث من عينيها فتنوم مغناطيسياً كل من ينظر إليها ، أمـشى بجوارها بالكاد ألهث ، لا تريم عينى عن حلمـة نهدها الذى بجوارى.

القرصات إزدادت بشكل حاد مؤرق ، فاضطررت مرغماً على أن أهدئ من سرعتى البطيئة .

لم تكن سريعة ، هى لا ترفضنى ، لم تتكلم ، لكننى لم أقدر على اللحاق بها ، أحاول بجهد ولا أصل إلا لما أنا فيه ، تذهب عيناى مغناطيسياً مشدودة إليها ، الشمس خلفى ، مصلوب أنا على ضوئها ، ظلى يهتز ويرتعش ، لون ظلى رأيته أمامى فى البداية أسمر ، رعشاته ضعيفة ، يدى تظهر فى جانبى خيالى ، ساقاى بصقتهما الأرض .

حاسة الانتماء تتساقط من ساقى فتشبثت ، انظر لظلى بعينين غشتهما ألوان ممزوجة مضطربة مرتعشة ، يظهر لخيالى ألف لون ولون، ويصبح لى ألف ظل وظل ، أبحث بيدى عن مأوى لأركن فى محاولة لبعث شتات شملى ، أترك رصيف الشارع لمن يقدر على ارتياده ، بعد وهن وبالبحث والتروى وجدت على الرصيف أيضاً سوراً لحديقة ، ركنت بجواره ، يقف ظلى الآن ، جسدى خائر ، ثم انظر تعبر نظراتى حواجز الطبيعة واللاطبيعة، أبحث عنها وأنقب بين الآلاف ، أصبح لعينى ملايين العيون المساعدة المنتشرة فى كل مكان ، المقدرة لظروفى ، لكن الوهن يتملكنى ويحاول إحباط عزيمتى ، لم يكن هناك بديلاً عن الجلوس فى الشارع فجلست .

عربدة ، مجزرة فى أحشائى ، تغضنات ، دوخان ، صرخت على صديقى الذى رأيته من بعيد ، لم يسمعنى ، كان واقفاً ، قلت بأعلى صوتى يا صديقى، يا أنت تعالى إلىّ بسرعة فأنا فى احتياج إليك ، لكنه لم يسمعنى ، أعرف جيداً أنه لن يتخلى عنى ، لكن كان صوتى منخفضاً بدرجة كبيرة ، رأيته قادماً ، وفرت جهدى إلى أن يقترب ، سأقول له أن

الصمغ يمتصني ، كاد يغرقني ، الشمس عرتني تماماً من كل شئ ، خشخشة عظامي سمعتها بوضوح ، رأيت الأبخرة المائية المتبقية فيها تصعد ، لكني كنت أحاول أن أمتصها من جديد .

صرخت ... يا صديقي إني في احتياج إليك ، مد لي يد العون ، انظر إليها ، أبحث عنها بين الآلاف ، تجري عيوني الكثيرة إلى الأمام وإلى الخلف ، إلى أعلى وأسفل ، إلى اليسار واليمين للبحث عنها ، صرخت بكل ما أوتيت من قوة ولكن كانت صرخاتي تضيع في الزحام .

يناير ١٩٧٠

روزاليوسف ١٦ يونيو ١٩٨٦

فهرس

للكاتب

(١) إلحاح ، قصص قصيرة ، طبعة ثالثة ، مركز الحضارة العربية ، ١٩٩٨ .

طبعة ثانية ، ١٩٩٠ . طبعة أولى ، ١٩٨٧ .

(٢) بعد صلاة الجمعة ، قصة قصيرة مع كامل الملف ، مركز الحضارة العربية ، ١٩٩٨ .

(٣) اهبطوا مصر ، ملحمة رواية ، دار الهلال ، ١٩٩٧

(٤) بستان الأزبكية ، قصص قصيرة ، طبعة ثانية ، مختارات فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ . طبعة أولى ، أصدقاء الكتاب .

(٥) عمارة الفقراء أم عمارة الأغنياء ، دراسة معمارية ، أصدقاء الكتاب ، ١٩٩٢

(٦) إكليل من الزهور ، قصص قصيرة ، أصدقاء الكتاب ، ١٩٩١

(٧) شمس بيضاء ، قصص قصيرة ، مختارات فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ .

تحت الطبع

(٨) معابد الأحلام ، قصص قصيرة .

(٩) صخرة المجاعة ، رواية .

(١٠) قصر الأفراح ، رواية .

(١١) التخيل الملكى ، رواية .

(١٢) مختارات من القصص القصيرة (مترجمة إلى الإنجليزية) .

من قائمة الإصدارات

رواية .. قصة

ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيزيس	حسني لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب أطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نعم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
في لهيب الشمس	رأفت سليم
أنا كنده	كيروجا ترجمة: رزق أحمد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
أيام صعد	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقي عبد الحميد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
جسد في ظل	عبد النبي فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلي	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـــــد	عبده خال
صعيدي صَح	د. عزة عزت
الشاعر والحرامي	عزت الحريري
في انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيري
إينارو	د. علي فهمي خشيم
تحولات الجحش الذهبي	لوكيوس ابوليوس ترجمة د.علي فهمي خشيم
سراديب	عفاف السيد
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحي سلامة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
ترانزيت	ليلى الشربيني
مشوار	ليلى الشربيني
الرجل	ليلى الشربيني
رجال عرفتهم	ليلى الشربيني
الحلم	ليلى الشربيني
النغم	ليلى الشربيني
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتي الساخنة	محمد محي الدين
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
فرد حمام	يوسف فاخوري

مسرح ..

هذه الليلة الطويلة	د.أحمد صدقي الدجاني
اللعبة الأبدية - (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
مملكة القرود	محمود عبد الحافظ

شعر ..

العنوان	المؤلف
أول الرؤيا	إبراهيم زولي
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولي
قصائد حب من العراق	البياتي وآخرون
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطي
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطي
صلاة للودع	صبري السيد
دنيـــا تناديـنـا	طارق الزياد
تلف	ظبية خميس
البحر . النجوم . العشب في كفٍ واحدة	ظبية خميس
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافي
سيرة الماء	د . علاء عبد الهادي
إضاءة فى خيمة الليل	على فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
حواديت لفندى	عصام خميس
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوى
إذهب قبل أن أبكى	د . لطيفة صالح
الغربة والعشق	مجدى رياض
غربة الصبح	محمد الفارس
وَنَس	محمد الحسيني
ليالى العنقاء	محمد محسن
العجوز للراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لى	نادر ناشد
فى مقام العشق .	نادر ناشد

دراسات ..

العنوان	المؤلف
هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
قراءة المعانى فى بحرالتحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
ثقافة البادية	حاتم عبد الهادى
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعونية	سليمان الحكيم
البعد الغائب : نظرات فى القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
رحلة الكلمات	د . على فهمى خشيم
بحثاً عن فرعون العربى	د . على فهمى خشيم
أعلام من الأدب العالمى	على عبد الفتاح
زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة	مجدى إبراهيم
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى

تراث ..

العنوان	المؤلف
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور	د . أحمد الصاوى
رمضان - زمان	د . أحمد الصاوى
القصص الشعبى فى مصر	إعداد خيرى عبد الجواد
إغاثة الأمة فى كشف الغمة	
الفاشوش فى حكم قراقوش	
الحكمة المنية لابن المقفع	

بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - أطفال .
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.





العمرى مشغول ومهموم هماً مقيم بذاته ، وأن نجاح هذا الإنشغال بالذات يكون فى وضعها فى إطار مجتمع موار ومتغير وهو ما نجح فيه الكاتب.

سمة المجموعة الرمزية الغريبة القلقة بين واقعية تريد الخروج منها إلى واقعية جديدة تريد أن تشارك فيها مع بقايا قوية من رومانتيكية العصور الخوالى.

فى هذه المجموعة بعض القصص التى تثير الرعب رغم أنها كتبت جميعاً فى الستينيات ، إذ نجح الكاتب فى رصدها سياسياً واجتماعياً وأن يشير إلى أطراف الصراع . وتبدو النظرة الاجتماعية للحياة والناس والعلاقات فى ثوب ناضج، ومن خلال نفس اللغة المكثفة فى التعبير عن المعنى المراد .

هى قصص ذات مذاق خاص تعطى لكاتبها ميزة أنه لا يمكن أن يكتبها غيره ، وهى ميزة نادراً ما نجدها .

إن عناق الملكتين : "الهندسة .. الدقة والقياس" ، مع ملكة الفن البوهيمية والإنطلاق رغم تناقضهما الشديد ثم الفهم الضرورى لقضايا الإنسان المعاصر يدفعانه إلى نسج قصص ترى الواقع من مستويات عديدة من داخله ومن خارجه.

إن صفة الكاتب الأساسية أنه إنسان "يضج بالحياة" تتفق كل حواسه على ما يحيط به فى وقت واحد ، تنشط خلايا عقله متزامنة مع تلك الحواس فتنطلق فى كل لحظة مختلف تناقضات الدنيا فى سيمفونية واحدة .

